مـن منشــورات
الجبهة الوطنية لانقاذ ليبيا



عقــدة العقيـــد

في مـيزان

التحليـــل النفســـــي

تأليف:
يوسف الأمين شاكير

تمهيـد

اعرف نفسك .. اعرف عدوك !

« اعرف نفسك » كلمة سقراط الخالدة أصبحت شارة على علم النفس الحديث يتمثل بها العلماء والمفكرون في كل زمان ومكان .. ويمكننا بالقياس ايضا أن نقول في المقابل : « اعرف عدوك » لتصبح شارة على المقاومة الشريفة في كل بقعة من بقاع العالم فأي حركة تحريرية ، لابد وأن تضع نصب أعينها هذا الشعار : « اعرف عدوك » ذلك أن معرفة العدو ــ كمعرفة النفس ــ تيسر سبل المواجهة العلمية الصريحة ، كما تؤدي في نهاية الامر الى الهدف الاساسي من وراء كل معرفة : الحرية .. !

ذلك أن سقراط حينما يقول : « حاول أن تعرف نفسك » ، كان يفتح الباب على مصراعيه أمام الباحثين عن الحرية .. حرية النفس .. وحرية الاوطان ولذلك كان يقول دائما : « إن جل اهتمامي إنما يكون في عقل الانسان » ، وكان كلما حادث أحدا سأله : ماهذا ؟ ماذا تعني بما تقول ؟ حدد عباراتك ، فانك تتحدث بغير حساب فما الذي يدور بخلدك بالضبط عندما تلفظ هذه الكلمات ؟ أفصح عن نفسك ولكي تفعل ذلك ، حاول أن تعرف نفسك » .

وكلمات سقراط أجدر بالتوجيه الى العقيد معمر القذافي ، الذي نسأله بدورنا عن سلوكه وأقواله وأفعاله : ماهذا ياقذافي ؟ ماذا تعني بما تقول وبما تفعل ؟ حدد عباراتك ياقذافي ، فانك تتحدث بغير حساب فما الذي يدور بخلدك بالضبط عندما تلفظ هذه الكلمات ؟ أفصح عن نفسك أيها العقيد ! ، واذا لم يكن قد تسنى لك ان « تعرف نفسك » فانك في ميزان التحليل النفسي ستعرف الكثير !

ذلك أننا في هذا العصر الذي شاع فيه علم النفس واتصل فيه طب العقول وطب الاجسام يندر أن يشتهر انسان بما يثير النفوس مثل ــ القذافي ــ دون أن توضع نفسه هو موضع « الفحص الطبي والدراسية العقلية ، ليتبين الباحثون دلالة أعماله ويتعرفوا نصيبها من الصحة والاستقامة أو نصيبها من المرض والشذوذ »[1]

واذا كان التحليل النفسي ، قد توصل الى عدد من العقد النفسية الشهيرة التي ترتبط بأسماء معينة ، مثل « عقدة أوديب » وعقدة « اليكترا » وغيرهما من العقد النفسية ، فان التحليل النفسي اليوم يظهرنا على عقدة متميزة عن هذه العقد جميعا ، وهي التي قد تسمى « بعقدة العقيد » أو « عقدة القذافي » . فنصيحة سقراط إذن : أعرف نفسك ، قد وصلت بعلم النفس

(١) عباس محمود العقاد : هتلر في الميزان ، بيروت ، دار الكتاب العربي ، ١٩٧١

وبالتحليل النفسي الى آماد بعيدة في اكتشاف عقد جديدة، كان آخرها «عقدة العقيد»!، ذلك ان نصيحة سقراط قد ترادف سؤال الحكماء: من أنت؟ او سؤالهم ماإسمك؟ غير أن الانسان — كما يقول العقاد[1] رحمه الله — اذا أجابه فانما يجيبه باسم «باطني» يعرفه بملامح وجدانه وقسمات ضميره، ولا يقف عند تعريفه بالاسم الذي يختار اعتسافا من بضعة حروف. وهو على اية حال سؤال الى «شخص» بعد شخص، قد يسمعه عشرون في الحجرة الواحدة ويجيبون عليه عشرين اجابة متفرقة. واذا وجهنا نفس السؤال: من أنت؟ الى العقيد، فانه يجيب بأكثر من مائة إجابة تدل على أنه ليس شخصا متميز الملامح والقسمات، ولكنها تدل على أنه عدد كبير من الشخوص والعقد! على النحو الذي يجعلنا بالفعل نذهب الى أنه مادة غزيرة لكل دارسي النفس. وقديما كانوا يزعمون أن أبا الهول كان يلقى سؤاله، فيهلك من لم يعرف جوابه. وكان سؤاله عن الحيوان الذي يمشي على أربع في الصباح، وعلى اثنين عند الظهيرة، وعلى ثلاث عند المساء.. وكان سؤاله لغزا من ألغاز الاقدمين عن الانسان في أطوار عمره، بين الطفل الذي يحبو على أربع والفتى الذي يعتدل على قدمين، والشيخ الذي يتحامل على عصاه، وهو لغز شبيه بطفولة الانسان كله... لا تبتعد المسافة بين جهله وعلمه ولا بين الهلاك فيه والنجاة.. إن القرن العشرين جمع الاسئلة فلم يدع سؤالا عن نسبة من نسب الانسان لم يطلب جوابه، على نذير بالهلاك لمن جهل الجواب وقد يكون هلاكا للجسد والروح.[2]

وحينما يضع المجاهدون شخصية العقيد في ميزان التحليل النفسي فانما يصدرون عن فهم النفس في بيان القرآن الكريم وكونها أقرب الى الطبع أو القوة الحيوية التي تشمل الارادة كما تشمل الغريزة، وتعمل واعية كما تعمل غير واعية، وتأتي في مواضعها من الآيات الكثيرة مرادفة للقوة التي يدركها النوم، والقوة التي يزهقها القتل، والقوة التي تحس النعمة والعذاب وتلهم الفجور والتقوى وتحاسب على ماتعمل من حسنة وسيئة.. فهي القوة التي تعمل وتريد، مهتدية بهدى العقل او منقادة لنوازع الطبع والهوى وتوضع لها الموازين بالقسط يوم القيامة[3]

(اللهُ يَتَوَفَّى الأَنْفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَالَّتِي لَمْ تَمُتْ فِي مَنَامِهَا)

(وَهُوَ الَّذِي يَتَوَفَّاكُمْ بِاللَّيْلِ وَيَعْلَمُ مَا جَرَحْتُمْ بِالنَّهَارِ)

واذا ذكر قتل «النفس» في القرآن الكريم، فانما هو قتل الانسان أو الناس على حسب الخطاب الى الفرد أو الجماعة.

(١) عباس محمود العقاد: الانسان في القرآن الكريم – القاهرة، دار الهلال، ١٩٦١ ص ٩

(٢) الانسان في القرآن.. ص ١٠ (٣) الانسان في القرآن الكريم... ص ٣٨

(مَنْ قَتَلَ نَفْساً بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعاً)

(وَلاَ تَقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ إِنَّ اللهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيماً)

(ثُمَّ أَنْتُمْ هَؤُلاءِ تَقْتُلُونَ أَنْفُسَكُمْ وَتُخْرِجُونَ فَرِيقاً مِنْكُمْ مِنْ دِيَارِهِم)

واذا كان الانسان مكلفا بأن يعرف نفسه، فانه بالضرورة كذلك مكلف بأن يعرف «نفس» عدوه! النفس «الامارة بالسوء» ذلك أن من الزم الامور لتحصين الذات الانسانية تزويد المكافحين بأكبر قدر من الحقائق الموضوعية عن عدوهم، على نحو يحدد الحجم الحقيقي لقوته، بعيدا عن التهوين أو التهويل من قوة العدو... إذ أن الأمرين يشكلان خطرا قاتلا على النضال أو الجهاد ضد العقيد معمر القذافي الذي يقتل «النفس» الانسانية في كل يوم ألف مرة! ونسى قول الله تعالى:

(وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ فَلاَ تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئاً)

وحَرَّمَه الله من نعمة النفس الملهمة أو النفس الواعية:

(وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا، فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا، قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّاهَا)

كما حُرِم من قوة الضمير التي تقابل النفس اللوامة، وهي النفس التي يقع منها الحساب كما يقع عليها، وجاء ذكرها من أجل ذلك مقرونا بيوم القيامة:

(لاَ أُقْسِمُ بِيَوْمِ الْقِيَامَةِ وَلاَ أُقْسِمُ بِالنَّفْسِ اللَّوَّامَةِ)

كما حُرِم بما وصفت به من الابصار والعلم بمواقع الاعذار:

(بَلِ الإِنْسَانُ عَلَى نَفْسِهِ بَصِيرَةٌ وَلَوْ أَلْقَى مَعَاذِيرَهُ)

وفي ضوء هذا التكليف بمعرفة النفس، رأت «الجبهة الوطنية لانقاذ ليبيا»، أن تعرف بالعدو الحقيقي للشعب الليبي والعربي، في ضوء ميزان التحليل النفسي، تحقيقا للتكليف الصعب في معركتنا مع القذافي: أعرف عدوك.

ذلك ان القذافي في موازين الاعداء، يمثل ظاهرة من الشذوذ النفسي، عديمة النظير، ومن أجل ذلك يسعى هذا البحث الى الدراسة العلمية لظاهرة «الشذوذ» القذافية «الشاذة».

فاذا كان الباحثون يختلفون في فهمهم لكلمة (شاذ) وتفسيرهم لمدلول (الشذوذ)[1]

(١) د. مصطفى فهمي: الشذوذ النفسي، القاهرة، مكتبة مصر، ص ٣١.

ويفصل المشتغلون بالطب النفسي الاساس الذي يقوم وفقا للعوامل التي تسبب الانحرافات، فان علماء النفس يهتمون بدراسة الاعراض المرضية من خلال دراسة العوامل الايتولوجية الكامنة وراء هذه الاعراض وفي استطاعتهم أن يستنتجوا من دراستهم للسلوك الشاذ الاسباب التي أدت اليه (١).

ويمكن إجمال مظاهر الشذوذ المختلفة في شخصية القذافي تحت اللونين الرئيسيين التاليين:

أولا: مجموعة الامراض العقلية.

ثانياً: مجموعة الامراض النفسية.

وفي الفصول التالية عرض تفصيلي لكل مجموعة من هذه الانحرافات تتناول أعراضها وشتى مظاهرها، كما يدرسها علماء النفس(٢). وسنعرض في أثناء الدراسة بعض الامثلة المستقاة من سلوك القذافي.

ونرجو أن نكون قد وفقنا الى شئ من ذلك، فجلّ من لا يخطئ تحيزا أو قصورا في عالم البشر.

(١) (٢) الشذوذ النفسي ص ١١ وما بعدها.

الانحراف وشهوة السلطان

«وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا ، فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا ، قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّاهَا».

صدق الله العظيم

يحكي عن احد مشاهير الحمقى ، من أمثال معمر القذافي ، يدعى «هبنقة» أن جعل في عنقه قلادة من ودع وعظام وخزف ، فسئل عن ذلك فقال : لأعرف بها نفسي ولئلا أضل . فبات ذات ليلة وأخذ أخوه قلادته فتقلدها . فلما أصبح ورأى القلادة في عنق أخيه قال : ياأخي أنت أنا فمن أنا !

في حالة هذا الاحمق — كما يقول علماء النفس —[1] يمكن القول بأن «انيته» أو شعوره بأنه هو هو أو بعبارة أخرى قدرته على أن يقول عن نفسه «أنا» كانت تتوقف على أمر عرضي خارجي ، قابل للفقدان بفعل أتفه الحوادث . وليست الانية أمرا مطلقا يظهر كاملا منذ الولادة ، قابل للفقدان بفعل أتفه الحوادث . وليست الانية أمرا مطلقا يظهر كاملا منذ الولادة ، بل هو نتيجة ترقي الرضيع والطفل تحت تأثير تفاعل العوامل الاجتماعية مع العوامل الفطرية والوراثية ، وتأسيسا على هذا الفهم ، فاننا نسعى في هذا الفصل الى تحقيق قدر من الدراسة العلمية لاطوار تكوين الانية القذافية .

وهذه الدراسة العلمية تقتضينا أن نفيد من نقطتين أساسيتين في بحوث الشخصية :

الأولى : هي شعور العقيد معمر القذافي بذاتيته ووحدته ، أي صورة الشخصية كما تبدو في مرآة الذات .

والثانية : هي الاثر الذي تتركه مجموعة الصفات التي تتمثل في شعور شخص آخر — سواء في المجتمع الليبي أو العربي أو الدولي — يشاهد هذه المظاهر السلوكية «القذافية» من الخارج ويحكم عليها ، أي صورة شخصية للعقيد القذافي كما تبدو في مرآة الغير. والصورة الاولى يعرفها علماء النفس[2] بالشخصية الذاتية او بالانية والصورة الثانية يعرفونها بالشخصية الموضوعية أو الخلق .

ويختلف المجال الرئيسي لسيكولوجية الشخصية اختلافا جوهريا عن مجال علم النفس

(١) د. يوسف مراد : مبادئ علم النفس العام — القاهرة ، دار المعارف ١٩٦٢ ، ص ٣٦٣

(٢) مبادئ علم النفس العام.. ص ٣٦٣

العام ، على الرغم من وجود تداخل كبير بينهما . وهناك اختلافات ثلاثة أساسية هي[1] :

١ — في علم النفس العام ينصب الاهتمام عادة على الناس عامة ، بدلا من أن ينصب على الاختلاف بين الافراد . أما الشخصية فتميل — أكثر من أي فرع آخر من فروع علم النفس — إلى توكيد الاختلافات بين الافراد في الوظائف السيكولوجية كالانفعال والدافعية والادراك والتعليم والتذكر ، واللغة والفكر وغيرها . ليس معنى ذلك أن الفروق الفردية هي مجال الاهتمام الوحيد للشخصية ، بل تمثل مجال إهتمام رئيسي لها . واذا كان علماء نفس الشخصية يهتمون أيضا بمظاهر الشخصية أو قوانينها التي تطبق على جميع أفراد الجنس البشري ، فإن هناك حقيقة إنسانية جديرة بالتسجيل وهي تعدد الانماط البشرية وعدم انحصارها في صورة معينة مكررة .

لقد ميز الله الانسان بخصال كثيرة ، من بينها هذه السمة العجيبة في أنماط البشرية .. تتشابه كلها دون ان تتماثل . حتى لنستطيع أن نقول أنه لا يوجد فردان من البشرية يتماثلان تماثلا كاملا على مدار الاجيال ، كما لا تتماثل بصمات الاصابع بين أي فردين على مدار التاريخ[2] .

٢ — ان علم النفس العام يركز بؤرة اهتمامه على العمليات السيكولوجية الفردية لدى الانسان والحيوانات دون مستوى البشر ، كالدافعية والانفعال والادراك والتذكير والتفكير . فكل واحدة من هذه الوظائف تعالج عادة كفصل مستقل أو كجزء من فصل في كتب علم النفس العام . أما في سيكولوجية الشخصية ، فنحن أكثر ميلا الى النظر الى «الفرد ككل متكامل» أي كتركيب من جميع أجزاء العمليات الفردية التي يتكون منها . فعالم نفس الشخصية يهتم في آخر الامر إذن بالانسان «ككل» من حيث هو متميز عن الوظائف الجزئية العديدة التي يتكون منها هذا الانسان[3] ولكن هذه النظرة يجب أن تتكامل كذلك مع نظرة التعدد في الانماط الذي يعطي البشرية ثراء لا يعرفه عالم الحيوان .. ثراء يجعل الحياة أوسع بكثير وأعمق بكثير من صورتها الظاهرة . فكل إنسان عالم وحده ، مع تشابه هذه العوامل وتقاربها والتقاء إنسان بانسان ، هو التقاء بين عالمين مختلفين ، مع تشابه «اللغة» الشعورية والفكرية والجسدية في نهاية المطاف[4] .

٣ — يتركز معظم الاهتمام في علم النفس العام على المثيرات الخارجية كمحددات للسلوك المباشر . وعلى العكس ، توجه سيكولوجية الشخصية معظم اهتماماتها الى الصفات الثابتة

١) Richard S. Lazarus; Personality, 2nd. Ed.

٢) محمد قطب : دراسات في النفس الانسانية ، القاهرة ، دار الشروق ١٩٨٠ ص ٢٧٢

٣) Richard S. Lazarus; Op. Cit.

(٤) دراسات في النفس الانسانية ص ٢٧٢

داخل الفرد كالسمات والاستعدادات التي توجه افعاله واستجاباته[1].

وهنا ينبغي أن ننبه الى نعمة من نعم الخالق على الانسان، وهي تعدد الانماط السوية للانسان، ذلك أن الله سبحانه وتعالى لم يكتب على الانسان صورة واحدة من السواء، بحيث تحتاج البشرية الى الانحراف والشذوذ لتعدد انماطها وتثرى حياتها بل بسط نعمته كاملة.. فجعل السواء أنماطا متعددة، كلها سواء، ومع ذلك لا يتماثل سواء وسواء، ولا شخص سوي وشخص سوي.. فلسنا نحتاج إذن الى الانحراف والشذوذ لتعديد أنماط الحياة واثرائها، والثراء متوفر مع الاستواء، ولكن حكمة الله قد خلقت مع ذلك انماطا أخرى شاذة ومنحرفة، ليتبين الفرق بين هذا الاتجاه وذاك![2].

وتأسيسا على هذا الفهم، يمكن القول أن ظاهرة العقيد القذافي في عصرنا هذا، هي من الظواهر الدالة، على هذه الحقيقة، حيث بدأ حياته بالانحراف الذي يمثل في شخصيته الشوط الاول من الخلل، وانتهى الى الشذوذ في شوطه الاخير، ليضع علماء النفس أيديهم على «عقدة» جديدة لم يتسنى لهم الكشف عنها في القديم، وهي التي نؤثر تسميتها في هذا البحث بـ«عقدة العقيد».

واذا كانت قوانين الطبيعة تقول إن التغيير الكي إذا زاد في حالات معينة عن درجة معينة، تغير وضعه النفسي، ليوصف بالشذوذ الذي أدى به الى «عقدة العقيد» عقدة «مابعد الشذوذ».

«وكما أنه لاتوجد خطوط حاسمة تفصل بين الاستواء والانحراف فكذلك لا توجد خطوط حاسمة تفصل بين الانحراف والشذوذ، فهما دائرتان — الى حد ما — متداخلتان نهاية هذه في بداية تلك. ولكن «العملية النفسية» مختلفة في الحالتين رغم وجود هذه المنطقة المشتركة عند الطرفين. فالانحراف يحدث خللاً في دورة الحياة السوية ولكنه لا يعطلها تعطيلا كاملا ولا يقلب وظيفتها في النفس، بينما الشذوذ يحدث هذا القلب والتعطيل.

«فالانانية الزائدة إنحراف.. وهي تظل في دائرة الانحراف مادامت لا تصل الى حد الجريمة، فاذا وصلت الى الجريمة، الى العدوان على الاخرين وعدم الاكتفاء بالموقف السلبي منهم، فهي شذوذ»[3]. وهذا ماحدث تماما بالقياس الى «العقيد»، الذي لم يعتد على شعبه الليبي أو العربي فحسب، وانما امتد عدوانه ليشمل افريقيا واوروبا.. بل وأمريكا في نهاية المطاف!

ذلك ان «العقيد» شخص تزيد فيه نسبة الكره، ومثل هذا الشخص يكون «حقودا لا

(١) Richard S. Lazarus; Op. Cit.

(٢) دراسات في النفس الانسانية، ص ٢٧٣

(٣) دراسات في النفس الانسانية، ص ٢٧٦

يحب الخير للناس لانه لا يحب الناس. وهو شخص مريض لانه «يفرز» افرازا زائدا من احدى «غدده النفسية» التي ينبغي ان يظل افرازها في حدود المعدل المطلوب.

والاختلال في شخصية «العقيد» اختلال في كل مقومات النفس البشرية، ففي شخصيته مزيج من مرضين معا: الفردية والانانية، وهما المرضان اللذان يجعلان من شخصية العقيد شخصية عدوانية، يحس الناس فيها بالانحراف واضحا، لان العدوان يظهره ويجسّمه «والمصاب بالفردية العدوانية شخص أناني لا يحس بوجود أحد إلا ذاته وحين يحس بالاخرين، فهو يحس بهم كأن وجودهم يضغط وجوده هو المنتفش الزائد عن حقه!. فيكرههم ويعتدي عليهم».

وللعقيد هنا سمات مشتركة مع الطغاة في تاريخ البشرية، وان كان تفوّق عليهم بنوعية وكمية امراضه النفسية، فالطغاة كلهم من ذوي الفردية الانانية العدوانية ولذلك فالطغيان مرض نفسي — ولايمكن أن يلجأ اليه شخص سوي. وهنا الفرق بين الزعامة والطغيان. فالزعيم شخص «عظيم» أي انه ضخم الشخصية، ولكنه ليس فرديا أنانيا. بل هو محب للجماعة متجاوب معها مخلص لها حسن المعاملة لها. وانما عظم شخصيته هو الذي يجعله في مكان القيادة، وليس أنانية الطاغية التي تميل الى استعباد الاخرين واخضاعهم. وربما كان المحل الواضح للفرق بين التركيب النفسي للزعيم والتركيب النفسي للطاغية، أن الزعيم يبحث عن القوى والطاقات في الجماعة فينميها، ويفرح كلما وقع على طاقة نافعة فيستعين بها ويدفعها الى الامام، بينما الطاغية لا يطيق إلا نفسه، فكلما وجد طاقة بارزة سعى إلى التخلص منها ولو بطريق الغدر[1] (وللعقيد في هذا المضمار باع كبير) ولا يعنيه أن تكون نافعة للمجموع. فنفع نفسه عنده هو الاول والاخر، ولا مصلحة لاحد سواه».

وهذه «بعض» سمات «عقدة العقيد»، التي تؤدي به الى التبجح والطغيان والعدوان وعدم احترام حقوق الانسان. وصاحب «عقدة العقد»: يظن الخضوع للحق حطة ومذلة. كما أنه صعب الانقياد للجماعة، رغم تسمياته «المبتكرة» للجماهيرية «والجماهيريات». فهو «نافر ناشز» ولا تستقيم أمور الجماعة حين ينشز افرادها على هذا النحو. وفوق ذلك كله فهو ذاته لا يعيش في راحة، فهو لا يفتأ يحس أن افتياتا وقع عليه من هنا أو من هنا. وهو إما أن يصل الى القيادة والزعامة ليتصرف في الناس على هواه (كما فعل العقيد)، واما أن ينشز ويشغب على النظام، ولذلك فهو دائم الاحتكاك بالناس حتى يقهرهم أو يقهروه. ولكنه لا يحسن أن يعيش في سلام ومودة مع الاخرين. وتلك ليست فضيلة بطبيعة الحال.. وانما هي مرض متعب خطير.

(١) دراسات في النفس الانسانية ص ٢٩٩

ومن أعراض «عقدة العقيد»، تلك الرغبة المستمرة في العدوان والتلذذ باذلال الاخرين، كما تصل عقدة العقيد في شذوذها إلى شهوة في القسوة والتعذيب (بحيث تصبح كلمة «سادزم» مرادفة «للعقيدزم»)! حيث يتلذذ صاحبها بمنظر الدم ومشاهدة الالم.. كتلذذ الحيوان المفترس، بل أشد من الحيوان. فمعظم الوحوش لاتفتك الا في حالة الجوع، ولا تلتذ بتعذيب الفريسة إلا من أجل الحصول على الطعام.

ولكن كيف تكونت «عقدة العقيد» وما هي مصادرها؟!

إن الشخصية وان كانت تفوق الفردية في مدى دلالتها، هي في نظر العلم ظاهرة طبيعية تخضع في نموها وتطورها للقوانين نفسها التي يخضع لها نمو الكائنات الحيّة وتطورها. وترجع مراحل التكوين الاولى الى عهد الطفولة الاولى حيث يكون الشخص عاجزا عن ادراك نفسه كذات متميزة مما يحيط بها من أشياء خارجية. فليس الشعور بالأنا امرا أولياً بل هو نتيجة تطور تدريجي يمكن حصره في مراحل ثلاث هي مرحلة اللاتغاير ومرحلة تبطن (SUBJECTIVATION) الانا الجسماني ثم مرحلة تبطن الانا النفساني(١).

ومن تحليل الانية القذافية في ضوء هذا الفهم، يتضح لنا أن شخصية القذافي تكشف عن صور مرضية، تظهر على النحو التالي:

«فقدان الثقة مع الكبت الشديد الذي يظهر في الاكتئاب فيؤدي الى الانطواء والابتعاد عن العالم».

ولقد عاش القذافي مراحل تكوين انيته المرضية وحيدا في عشة صغيرة منصوبة بشكل بدائي للغاية في إحدى شعب اودية الصحراء، ولما بلغ القدرة على الحركة بدأ يتسلل كل يوم متفردا كالضب الصغير الى الوادي القريب يمضي كل يومه في العبث بالحشرات وتقتيلها والتفنن في تعذيبها.

ويقرر من لاحظ سلوك معمر اثناء اقامته بالاقسام الداخلية في المدرسة انه كان صبيا انطوائيا ينفر كل النفور من مجالسة ومحادثة الصبية الذين معه رغم قلة عددهم، كثير الشرود والسرحان قليل الحديث لايزيد عدد الكلمات التي يتفوه بها يوميا عن عدد أصابع اليد الواحدة مهما كانت دواعي الحديث مثيرة.

ولذلك أتسم سلوك القذافي فيما بعد، بالنرجسية التي تؤدي أهم دور في توجيه سلوكه السياسي والاجتماعي، كما يلاحظ سلوكيا على القذافي انعدام المرونة في التصرف، وانه يفتقد المقدرة على التكيّف السريع وتحقيق التوافق بينه وبين البيئة الاجتماعية في الداخل، والبيئة

(١) انظر: د. يوسف مراد: المرجع السابق، ص ٣٦٦

ذلك انه من خلال ملاحظة سلوكه تبدو عليه دائما أعراض الحصر والقلق والاكتئاب والوسواس. ولذلك نجد في سلوك القذافي دائما انه سريع التهيج، لا يبالي كثيرا بما يدور السياسية في الخارج، ولوحظ عليه أيضا اسرافه في ملاحظة حالته الصحية ومعالجة أمراضه، وهو لذلك يحقق التوافق عن طريق النكوص واللجوء الى عالم الخيال والوهم، ولعل أبرز مرض نفسي لازمه منذ طفولته وحتى الان هو «الوسواس». ووفقا لتفسير ايزنك EYSENCK لبعد الانطواء في الشخصية، يمكن القول ان القذافي ينتسب الى العصابي المنطوي والى مجموعة المنهبطين (DYSTHYMIC GROUP) حوله، وربما يرجع ذلك الى أن جهازه العصبي المستقل قليل الاستقرار والثبات مما يؤدي الى تغيرات فجائية في الحالة المزاجية، ولذلك نلاحظ أن القذافي دائما عصبي، مستسلم لاحلام اليقظة، قليل المشاركة الاجتماعية، ويشكو كثيرا من الارق.

ومن حيث بنائه الجسمي فإن النمو الرأسي غالب على النمو الافقي، وهو ضعيف الاستجابة للجهد، والنشاط الكولينستزازي (CHOLINESTERASE) لديه مرتفع. والمعروف في علم النفس أن الكولينستزازي خميرة موجدة في الدم وفي غيره من الانسجة تساعد على التحلل الكيميائي لمادة الاستيلكولين (ACETYLCHOLINE) التي تفرزها بعض الاعصاب والتي تنبه العضلات المخططة وبعض الغدد. وتحلل هذه المادة يؤدي الى زيادة سرعة التوصل الكيميائي للسيال العصبي وبالتالي الى زيادة القابلية للتهيج الحركي، والى كف افراز اللعاب وهو من أعراض الخوف والقلق[1].

ولعل في هذا التفسير النفسي، تبريرا لسلوك القذافي في طفولته وحتى الان، ومن ذلك انه حينما كان طالبا في الكلية العسكرية، كان حريصا بعد تخرجه مباشرة على أن يضع على كتفه شارة عسكرية تميزه عمن هم أقل منه رتبة.

كما تكشفت نتائج تكوين انيته المريضة، بعد أن تولى الحكم اثر قيام الانقلاب، فظهرت نوازع حقده ومرضه في طرد كل انسان يكبره سنا، أو رتبة او درجة وأصبح يغار من الفنيين والاعلاميين والممثلين الذين تحبهم الجماهير، وانتقل «العقيد الجديد من مرحلة تصفية الانسان في ليبيا الى مرحلة الصراع مع الماضي والغيرة منه بكل ماقبه من معطيات ومسميات، فالماضي بالنسبة اليه كائن مرعب مخيف لانه يذكره بطفولته ونشأته وبدأ يبدل كل شيءٍ بدون استثناء حتى أسماء الناس التي اكتسبوها في الماضي بدأ يرفضها وينفر من سماعها.

وربما يرجع ذلك جميعا، الى ان القذافي كعصابي منطو، لم يتح له منذ تكوين انيته ان

(١) د. يوسف مراد: المرجع السابق، ص ٣٩٢

يحقق تكاملا في شخصيته ، فأصبحت شخصية القذافي منحرفة شاذة سواء في السلوك الاجتماعي أو السياسي ، فلقد مر في مراحل تكوينه المختلفة بالامراض النفسية كالهستريا وحالات الحصر النفسي (ANXIETY) والوساوس المرضية والمخاوف ذلك أن الاختلال في أنية القذافي منذ البداية هو في الواقع مايتناب شعوره دائما بوحدة ذاته وتواصل حلقاتها ، وأدت به هذه الاضطرابات الى اجتياز الحدود بين السواء والمرض ، والى التوغل في فيافي المرض المظلمة المزعجة . ولذلك يشعر القذافي دائما بتغير ذاتيته وتفكيكها وبأن بعض احساساته وأفكاره ورغباته أخذت تفقد صيغتها الخاصة التي كانت تجعله يشعر شعوراً ضمنيا بأن هذه الاحساسات والافكار والرغبات هي له وصادرة عنه وخاضعة الى حد كبير لسلطان إرادته .

يقول عالم النفس الدكتور يوسف مراد :

«يبتدى اذن المرض بأن يستغرب بعض حالاته الشعورية غير أنه لايستسلم أول الامر لهذا الاحساس بالغرابة ، بل يحاول اما تجاهل الحالات الشاذة وأما تعليلها وتمثيلها . بيد أنه لا يلبث طويلا حتى يشعر بأن مصدر هذه الحالات الشاذة قد انفصل عن مركز ذاته وثار عليه ولكن بدون أن يتجاوز حدود العالم الداخلي غير أن الشعور بالغرابة أو الشعور بالتفكك لايقف فقط عند الحالات النفسية الذاتية ، بل يتجاوزها حتى يصيب الجسم ثم العالم الخارجي نفسه . وعلى ذلك يتدرج المريض من هذيان الاستغراب والشك الى هذيان النقص والانحطاط ومنه الى هذيان انكار وجوده ووجود العالم الخارجي»[1] .

وربما كان في ذلك مايفسر لماذا يظهر القذافي دائما في أطوار بالغة التنافر والتباين ، ولماذا يقف الناس من حوله مشدوهين حائرين ، لايجدون وسيلة منطقية تمكنهم من تبرير سلوكه «فأحيانا نجده انسانا مسالما طيبا وتارة يظهر كالثور الهائج يبحث عن من يصارعه ويناطحه ، وفي طور آخر نراه كالفأر المذعور يجري هنا وهناك باحثا عن أي مغارة آمنة يلجأ اليها ، وأحيانا نجده فاسقا فاجرا يمضي الليالي في مفاجأة ومضاحكة الخنفسات الضائعات اللاتي يسمين أنفسهن «بنات الله» وهن في الحقيقة «بنات الشيطان» وفي بعض الاوقات نجده في صورة الشاعر الحالم الشاخص ببصره نحو النجوم يبحث عن كوكب بعيد يتسع لاماله وأحلامه وأوهامه بعد أن رفضت الكرة الارضية قبول أي شئ من سخافاته وتهوساته» .

يوضح لنا هذا الوصف — كما يقول علماء النفس —[2] كيف يفك المرض الشخصية ويحلل مقوماتها ، ولذلك وجدنا القذافي المريض يمر بمراحل مرضية عكسية تعيد المراحل التي تجتازها الانية أثناء تكوينها ، ويجدر بنا أن نذكر أن اختلال الانية عند القذافي — في ضوء التحليل النفسي — قد تفاقم منذ بدأ يسمع أصواتا داخلية وخارجية تؤنبه حينا وتهزأ به حينا

(١) د. يوسف مراد : المرجع السابق ، ص ٣٩٧ (٢) د. يوسف مراد : المرجع السابق ص ٣٩٩

آخر وتوجه اليه السب والشتم ، كما كان وهو طالب في الكلية الحربية يشكو من هلوسات بصرية ولمسية كأن كان يرى شخصا غريبا يجلس بجانبه ويلمسه.

ولعل في ذلك مايبرر تصرفاته في الكلية العسكرية ، حيث كان طالبا خاملا فيها ، وكان أصحابه يلقبونه بصفة «المعقد» كنتيجة لتصرفاته غير المفهومة أو المبررة ، كما أن تفاقم الهلوسات عند القذافي أدى به الى الفشل في أنشاء أية علاقة اجتماعية مبنية على الاحترام المتبادل ، كما كان طالبا فاشلا في قسم التاريخ بكلية الاداب بالجامعة الليبية ببنغازي وكان يعاني من هلوسة من نوع غريب ، وهي التي تعرف بهلوسة رؤية الشخص نفسه أو بالهلوسة المرآوية (AUTOSCOPIC HALLUCINATION) فكان القذافي يرى نفسه جالسا بجانب نفسه كما كان يرى صورته في المرآة وهي تختفي رويدا رويدا وتحل محلها صورة شخص غريب.

وتذكرنا حالة العقيد ببعض الحالات الشاذة والغريبة التي عرفت في علم النفس بحالات تعدد الشخصيات ، فهناك حالة الامريكية «ماري رينولدز» التي ذكرها ماك نيش (MAC NISH) في كتابه «فلسفة النوم» سنة ١٨١٦ وكان لهذه المريضة شخصيتان متناوبتان تجهل احداهما الاخرى. ثم حالة المريضة «فيلدا» التي وصفها الطبيب الفرنسي أزام (AZAM) سنة ١٨٦٠ وهي تختلف عن الحالة السابقة اذ كانت الشخصية الجديدة تتذكر كل ماهو خاص بالشخصية الاصلية بينما كانت ذكريات الشخصية الجديدة تزول عند عودة المريضة الى شخصيتها الاصلية.

واكتشف الدكتور الانجليزي مورتن برنس (MORTON PRINCE) حالة في غاية الغرابة وهي حالة «مس بوشامب» التي كانت لها أربع شخصيات تعرف إحداهما الاخرى. وقد ذكر ريبو (RIBOT) في كتابه «أمراض الشخصية» حالة (لويس فيفيه) الذي كانت له ست شخصيات مختلفة(١).

ولكن «العقيد» قد تفوق حتى على هذا النموذج حيث يظهر بأكثر من مائة شخصية ، الامر الذي يجعلنا نقول إن مخيلة الكتاب الروائيين لم يكن في مقدورها أن تتصور مثل نموذج العقيد ، وهي تبتكر حالات لتعدد الشخصيات ، واذا كانت حالات تعدد الشخصيات قد اختفت فجأة من المستشفيات منذ حوالي نصف قرن ولم نعد نسمع عنها شيئا ، فان العقيد قد ظهر فجأة على المسرح السياسي ، ليعيد طرح هذه الظاهرة من جديد.

فحينا يتقمص «العقيد» شخصية «المسلم» المهاجم للدول الشيوعية وخاصة بعد استيلائه على الحكم في ليبيا في سبتمبر ١٩٦٩ ، كما يهاجم الدول الشيوعية وفي مقدمتها الاتحاد

(١) د. يوسف مراد : المرجع السابق ص ٤٠٠

السوفيتي الذي سماه بالدولة الامبريالية ، ثم نجده فجأة وبدون مقدمات ينقلب لاهثا وراء الاتحاد السوفيتي بعد طرد الروس من مصر!

ان القذافي في تعدد شخصيات العقيد ، التي اجتمعت كلها في رجل واحد وهو «عقيد» ليبيا ، يجعل المراقبين السياسيين في حيرة دائمة : ماذا يريد القذافي؟ ماذا يعني أن يقول شيئا ويفعل ضده .. ماذا يعني أن يصرح بأمر ثم يخالفه .. ماذا يعني أن يأخذ وعدا ولا يفي به .. ماذا يعني أن يتخذ قرارا ثم لا ينفذه .. ماذا يعني أن يطرح «العقيد» رأيا لا يؤمن به ..

أنه ينفث من فه السموم الشيوعية ويحاول أن يغلفها بكلمات يسميها الاسلام الحقيقي .. وهذا يمثل قمة الازدواج في الشخصية ، فهو حين يدعو «للاسلام الحقيقي» ينكر السنة النبوية .. كيف؟ كما أن النظرية الثالثة التي يرفع شعارها تمثل أقصى حالات الهيستيريا ، شأنها شأن تصريحاته عن الحج تلك الفريضة المقدسة ، ولهجة الاستخفاف بها ، واستصغار شأنها ، وحمل المسلمين على صرف اهتماماتهم عنها واستبدالها بحركات سياسية مشبوهة ظاهرها الثورة وباطنها ادخال البلبلة بين المسلمين في شئون دينهم وعقيدتهم .

إن جميع من تعرّف على القذافي عن قرب يؤكدون أنه يتحاور مع هواجسه بصوت مسموع ويحول تصرفاته للعمل ضد كل القيم الانسانية ، وربما كانت هذه الظاهرة تمثل «تناقضا عصابيا» الا انها في حقيقة الامر تمثل في «عقدة العقيد» تناقضا «اجراميا» حيث تتشابه طبيعة التناقض نوعا ما . فنلاحظ في حالة العصابي وفي حالة العقيد معا ، انه يقوم بسلسلة من الافعال تؤدي به في النهاية الى أن يهزم نفسه بنفسه . فهو يفعل الاشياء التي لايريد فعلها ويفشل في القيام بالاعمال التي يرغب في عملها فعلا .

ويبدو أنه — العقيد أو العصابي — يقف خارج القانون العام لمذهب السعادة الحسية الذي يبدو انه يحكم ردود افعال الانسان والحيوان عموما . ويصدق نفس الشئ على المجرم وخاصة على العقيد معتاد الاجرام . فعلى الرغم من ثورات الشعب ضده أكثر من مرة في ليبيا ، يبدو أنه لايستطيع ان يتعلم ان هذا اللون من السلوك لايؤدي به الى سعادة او اشباع او رضى اكبر بل حرى بأن يوقعه في مشاكل أبدية ، الامر الذي يجعلنا في نهاية هذا التحليل لنفسية العقيد نذهب الى أن العلاج لن يكون الا بالثورة وبالثورة وحدها .

فالعقيد معمر القذافي لايرى مانعا في ازهاق الارواح البشرية ظلما وبهتانا لانها لم تتبع اسطورة كتابه الاخضر ولم تبارك ثورة الأول من سبتمبر . ويعتقد العقيد ان كتابه الاخضر يحل كل المشاكل التي تتخبط فيها الانسانية وان اللجان الشعبية المنبثقة عن المؤتمر الشعبي هي صاحبة الكلمة الفصل في أي قرار يتعلق بسياسة الجماهيرية . هذا المبدأ يظهر براقا وساطعا ولكن تختفي وراءه مظالم لاتحصر ولا تعد وانتهاكات لحرمة النفس البشرية باسم الديمقراطية

المزيفة. كما ان اسلوب الحوار الذي ينهجه العقيد مع معارضيه يؤكد هذا «التناقض الاجرامي» الذي تحدث عنه «ايزنك» في كتابه (FACT AND FICTION IN PSYCHOLOGY) ذلك ان العقيد يمكن ان تنطبق عليه العبارة التالية :

«حذار انه يقتل!»

ويكفي ان نشير هنا الى ملف اعدته مجلة جون افريك عن القائمة السوداء للقذافي، فالذين يعارضون اسطورة القذافي حول ظهور المجتمعات الشعبية يلاحقهم القذافي ويحاول تصفيتهم جسديا، ويرى القذافي ان رفض ندائه لن يقبل المساومة ويكون الجزاء القتل ولا يمكن مراعاة أي اعتبار كان الا في صورة واحدة تتمثل في امضاء وثيقة مكتوبة كولاء للثورة! وعمد القذافي مؤخرا الى وضع مجموعة من اللجان الشعبية بدل البعثات الدبلوماسية وتشمل مهمة هذه اللجان تتبع المعارضين الليبيين وحماية الذين يقومون بقتل المعارضين وقد تركزت هذه اللجان في كل من روما وأثينا ولندن.

واحتارت البلدان الاوروبية امام هذا الموقف القذافي ولم تجد لهذه اللجان الشعبية مبررا في وجودها على مستوى هيكلها القانوني الغامض ففي لندن تركزت اللجنة الشعبية التي حلت محل السفارة في حي سانت جايمز بلندن وبأمر من «الجماهيرية» قررت اللجان الشعبية في الحادي عشر من يونيو اغتيال معارضين ليبيين وقد أكد ذلك موسى كوسا رئيس البعثة الليبية لجريدة التايمز. وقررت الحكومة البريطانية على ضوء ذلك طرد الدبلوماسي الليبي في ١٣ يونيو. واغتاظ العقيد للموقف البريطاني فقرر اتخاذ قرارات ضد ٥٠٠٠ مواطن بريطاني في «الجماهيرية»، وتقديم اعانات للحركة الكاثوليكية في ايرلندا وسحب ٨,٧ مليار دينار ليبي من البنوك البريطانية.

ومن ذلك يتضح ان هذا «التناقض الاجرامي» في شخصية العقيد، يحقق له اشباعا مباشرا من رؤية فريسته المكروهة الموت، وليس من الصعب أن نجد سببا نظريا للاختلاف بين طريقة «عقدة العقيد» من ناحية والمجرمين العصابيين من ناحية أخرى. ذلك أن السمات النموذجية للعصابي كالقلق والمخاوف المرضية والحوار القهري وغيرها انما ترجع الى استعداده الزائد لتكوين استجابات شرطية بقوة ورسوخ. ويبدو — كما يقول ايزنك — ان غياب الضمير لدى المجرمين وذوى «عقدة العقيد» والسيكوباتيين قد يرجع الى فقرهم الشديد في تكوين الاستجابات الشرطية. هذا اذا كانوا يستطيعون تكوينها على الاطلاق. وحتى عندما تكون هذه الاستجابات فانها تنطفئ بسرعة.

وهذا التناقض الاجرامي في شخصية العقيد، هو الذى أدى به الى اعلان قيام (١١) وحدة عربية بينه وبين بعض الدول العربية، وكان هو الذي يحطم هذه الوحدة في نفس اليوم

الذي يعلن فيه عنها.

فقد طلب الوحدة من جمال عبدالناصر ثم رفضها، وطلبها من السادات ثم تسبب في افسادها ثم طلبها من سوريا وحطمها بنفسه، وطلبها من تونس وقام بافشالها وطلبها من الجزائر وعمل على عدم تحقيقها.. الخ.. بل انه حاول ان يقيم وحدة اندماجية مع دولة مالطة القريبة من المياه الاقليمية التونسية.. وعندما رفضت حاول أن يقلب نظامها.

ويدفع «التناقض الاجرامي» بشخصية العقيد كذلك الى خلق الفتن وتشجيع التمرد.. في البلاد العربية والافريقية، فهو الذي كان وراء محاولة الانقلاب في المغرب ووراء حركة قفصه في تونس، وهو الذي قام بتفجير بعض المصالح المدنية والاقتصادية في مصر. وهو الذي يساعد الثوار في بعض الدول الامريكية، وفي ايرلندا. وفي الصومال وتشاد مشكلة تسبب فيها التناقض الاجرامي في عقدة العقيد، التي امتدت الى ايطاليا فقجر المحطات وقتل الابرياء في مدينة بولونيا.. ثم انه يرحب بالعصابات وزعمائها في بلاده ويفرش لهم الطريق بالحرير والاموال.. يقف الى جانبهم ويعطيهم جوازات السفر المزورة.. وخذ في ذلك مثالا الارهابي الشهير كارلوس الذي نفذ عديدا من العمليات الاجرامية واغتال شخصيات كثيرة في العالم تحت حماية العقيد!

يذهب بنا التحليل العلمي لعقدة « العقيد » الى ان هذه العقدة جامعة للعديد من العقد، وبخاصة تلك التي تعبر عن « ذوي العاهات » مستعيرين تعبير العقاد رحمه الله، فالعقيد يجمع حوله كل « فاسد الطبع مبتلي بداء الاباحة والابتذال منطوي النفس على الرذيلة »[1] كما انه يصدر في اتجاهاته عن النقمة على الدنيا يود لو يخربها على من فيها لعاهة جسدية فيه أو عاهة نفسية أشرّ من عاهات الاجسام.

ولا عجب في أن يدين القذافي بالمذاهب الهدامة لانه يبغض الدنيا ومن فيها ولا يعنيه صلاحها وفسادها، لان شهوة « الخراب » في نفسه تحبب اليه كل دعوة تجعل عاليها سافلها وسافلها عاليها، وتنعى الدار ومن بناها. وتستوي في عقدة « العقيد » جرائمه في حق شعبه وجرائمه في حق المجتمع الدولي، بل ان ممارساته الاجرامية على صعيد القارة الافريقية تؤكد ما يذهب اليه التحليل العلمي لعقد ذوي العاهات وما أدت اليه من اذكاء « شهوة الخراب » في

عقدة العقيد بصفة خاصة، الامر الذي يتضح من عدوانه وتخريبه لكل المقدسات، وتسفيه كل الاعراف والتقاليد المستقرة، وتجاوز كل انماط التعامل التي تعارفت عليها البشرية، والنيل من كل الاقدار والمقامات والاعتداء على كل الحرمات فهي ممارسات تصدر عن « عقدة العقيد » الجامعة لعقد ذوي العاهات، مستهدفة الانسان في فكره، وفي حرياته، ومقدساته، وفي وجوده وما يرتبط به من دم وعرض ومال، كما انها تستهدف المجتمع الانساني في قيمه وعلاقاته وروابطه الاجتماعية والاقتصادية والسياسية، وهي ممارسات تستهدف اشاعة الفوضى والغوغائية في كل شيء وفي كل اتجاه.

ومن ذلك يتضح أن « عقدة العقيد » ليست « عقدة سيكولوجية » فحسب، ولكنها تكاد تكون في ممارساتها مذهبا، تطلق عليه « مذهب النقمة » والاباحة وقلب الاوضاع، وهي من ثم ملتقى المخربين وذوي العاهات الجسدية والنفسية، ولهذا يستميت القذافي في محاربة كل حكومة عربية او غير عربية تعني بالاصلاح وتيسير اسباب المعيشة، فالخراب هو الغرض المقصود في مذهب النقمة والاباحة وقلب الاوضاع، الصادر عن « عقدة العقيد ».

وقد أدت عقدة العقيد به الى أن يتوسل بأي اسلوب من أجل الوصول الى غايات مذهب ذوي العاهات الاجرامية، فاعتمد الكذب والافتراء، والمراوغة والفتنة والوقيعة كأساليب لتنفيذ مخططاته، كما انه خرب الاقتصاد الليبي ليشتري بأموال الشعب الذمم والاقلام وكل

(١) العقاد: مذهب ذوى العاهات ص ٥٣

انماط ذوي العاهات، ولاقتناء كل ما يتيحه العصر والعلم من أدوات الخراب والارهاب والفتك والقتل.

ومن أعوان «مذهب العقيد» المخلصين أصحاب العاهات الجسدية والاخلاقية والمشوهون في الطبائع والاجسام لان هؤلاء -كما قال العقاد عن نظائرهم يوما- يكرهون الدنيا التي خرجوا اليها مشوهين ممسوخين، ومن جهة اخرى يجدون في «عقدة العقيد» ملجأ ومذهبا يستر لهم عاهاتهم ويصورهم لانفسهم في صور الابطال الدونكشوتيين.

فكل طالب للخراب حاقد على الناس والدنيا فهو اثير لدى القذافي.. وفيالق المرتزقة من جل انحاء العالم، وتحت مسميات متعددة، أصدقاء للقذافي، وكافة المنظمات الارهابية على صلة وثقى بالقذافي.

وقد دفعت هذه العقدة بالقذافي الى الايمان بأن ثروة الشعب الليبي الوفيرة تستطيع ان تشتري له كل الضمائر والذمم.. أصحاب الاقلام وأصحاب الصحف.. والزعماء والرؤساء والعشائر والقبائل، والاحزاب والمنظمات والهيئات.. وحتى الوزراء ورؤساء الحكومات والدول، انه يعتقد ان بمقدوره شراء ضمير العالم.. ولكن هيهات!

ودفعت به عقدة العقيد، الى أن ينظر نفس النظرة الى أفريقيا، بل انه تصور انه مستطيع بالمال الليبي للشعب المغلوب على أمره أن يشتري وان يسيطر حتى على منظمة الوحدة الافريقية. وبالفعل اغدق الكثير من الرشاوي ونجح مع أمثال بوكاسا وعيدي أمين وأضرابهما. ولكن هيهات ان يشتري ضمير أمته أو قارته الافريقية!

نقول هيهات! على الرغم من ان عطايا القذافي ورشاويه كانت من وراء الكثير من حوادث الاضطرابات والقلاقل والمظاهرات ومحاولات الانقلاب التي وقعت في كثير من البلدان الافريقية، كما حدث في تونس وموريتانيا والسينغال والنيجر والكاميرون والتشاد ونيجيريا والصومال ومصر والسودان والصحراء المغربية.

لقد أثبتت التحريات والتحقيقات التي جرت في كل هذه البلدان أن أموال القذافي ورشاويه كانت القاسم المشترك من وراء كل حوادث العنف والشغب والاضطرابات التي وقعت فيها.

وقد استعمل القذافي لتحقيق غايته هذه في شراء الذمم وافسادها، سفاراته (مايعرف الان بالمكاتب الشعبية) ومراكزه الثقافية الخارجية، والشركات المختلطة (التي أنشأها مع بعض هذه الدول) وفروع المصرف الليبي الخارجي، وفروع المصارف المشتركة وفروع شركة الطيران الليبية، والحقائب التي يحملها رسل استخباراته يجوبون بها عواصم افريقيا ودواخلها

وبقية العالم مليئة بمختلف أنواع العملات ، كذلك فلم يتردد القذافي في استغلال بعض الزيارات الرسمية التي قام بها هو شخصيا او رئيس وزرائه او بعض وزرائه الى الدول الافريقية كمناسبات جيدة لتحقيق غاياته في افساد الذمم وشرائها.

واذا كان القذافي قد حقق بعض النجاح في هذا الاتجاه ، الا أن السمة العامة لمساعيه في هذا المجال كانت الفشل الذريع وخيبات الامل المتلاحقة. ويرجع ذلك الى وعي ويقظة الشعوب والحكومات العربية والافريقية ، وادراك الكثير منها مبكرا ، لاطماع القذافي وأساليبه والاعيبه ، كما يرجع الى ما جبل عليه القذافي من طبيعة مريضة تجعله يحرص وبكل السبل على اذلال وتحقير وامتهان كل من يمد يده بقبول هبة او عطية او رشوة من أجهزته بل ان هذه الطبيعة المريضة تجعله لا يتردد حتى في التشهير بهؤلاء العملاء الذين اشتراهم. كما وقع القذافي —بسبب عقدة العقيد— في شرك عدد من المحتالين والنصابين المحترفين والمرتزقة وغيرهم من ذوي العاهات.

ونخلص مما تقدم الى أن «عقدة العقيد» دفعت بالقذافي الى محاولة هدم المجتمع ومحاولة الاستيلاء على العالم ، وهو لذلك يجمع حوله كل ماجن مستهتر وكل عامي جاهل وكل مشاغب متاجر بالشعب ، وكل ارهابي عدو للانسانية ، الامر الذي يجعلنا نذهب مع التحليل العلمي الى أن «عقدة العقيد» في عالم اليوم حركة نقمة وتخريب وما من شيء يدل على طبيعة عقدة العقيد المدمرة كما تدل عليها طبائع الذين يلتفون حول القذافي.

وربما كان أوفى الطرق واقربها الى دراسة نفس انسان ان تلم بسيرة اصحابه واعوانه الذين يعمل معهم ويعملون معه ، ويحتاج اليهم ويحتاجون اليه. فمن هذا الالمام بسيرة اصحابه وأعوانه نعلم حقيقة العمل الذين يتفقون عليه! هل هو عمل يتفق عليه اناس كرام ، او هو جريمة يتفق عليها أناس مخلوقون للاجرام.

فليس في وسع أقرب المقربين الى هتلر وأرغب الراغبين في الثناء عليه أن يطلق وصف «الاناس الكرام» على أصحابه الاخصاء :

جورنج وريبنتروب وجوبلز وهيملر واخوان هذا الطراز!

أما اذا نظرنا الى الطبقة او ماتسمى مراكز القوى المحيطة بالقذافي فصفة الانسانية منعدمة ، بل هم أناس ضالعون في الاجرام ، وهم من نفس بطانة هتلر ، أمثال حسن اشكال خليفة احنيش، سيد واحمد قذاف الدم ، مفتاح علي السيد وكثير من افراد قبيلته وكثيرون من شذاذ الافاق من اللجان الثورية!! والعجيب في هذه الطبقة انهم يشتركون في صفقات مشتركة وهي الحقد والفساد والشذوذ الاخلاقي وقباع الشكل ويعانون من سمعة اسرهم ، والانحرافات الموجودة عند بعض افراد أسرهم ولا مجال هنا لذكر كثير من نماذج اللجان

الثورية لان البحث لايتسع لمثل هذه الشراذم.

ويتفق القذافي مع هتلر في الاصابة بآفة نفسية يسمونها «شيزوفرينيا» أو ما يعبر عنه في العرف الدارج بازدواج الشخصية، وهي آفة تنشأ من الوراثة القديمة والحديثة ومن فرط النشاط في الغدة الدرقية على نحو يغلب في النساء المريضات، واليه يرجع اهتياج الشعور عندهن وطغيان الحس على أفكارهن(1).

وقد لوحظ على القذافي مالوحظ على هتلر من عوارض هذه الانوثة المريضة لانه يبكي ويمرح حين يشاء، ويغضب ويصخب لاتفه الاشياء، ويثير شعور سامعيه ابدا ثم لا يزودهم يوما بزاد من الفكر المقنع والرؤية الهادئة في غير سخط واهتياج ويشبه المرأة في تركيب جسمه، وكثرة ما يعهد من كيده وولعه بالايقاع واثارة الشحناء والغيرة بين المحيطين به على نحو ماتصنع المرأة المتبوعة بين المحيطين بها، وهذا الى صبره الطويل على كل ألم في سبيل الظهور والزينة والمتعة بالتفاف الانظار، كوقوفه مثل هتلر خمس ساعات ممدود الذراع امام المواكب التي تحييه وتومئ اليه، وهو نوع من الصبر يعهد كثيرا في النساء ولا يعهد في الرجال، على حد تعبير العقاد رحمه الله. والذي يقول كذلك ان «صاحب الشخصية المزدوجة يتناقض في تفكيره وشعوره كأنما تصدر أفكاره من مصدرين أو من شخصين مختلفين: فهو حينا سديد الرأي وحينا شديد الخطل وهو تارة وديع ولين وتارة شرس عنيد وساعة يحجم ويتردد وساعة اخرى يهجم ويتعسف وقد يعالج الامور علاج الحالم المزمن ثم لا يلبث ان يعالجها علاج المتشكك لايؤمن بغير الواقع الملموس(2)

ولقد كانت «عقدة العقيد» من وراء كل ممارسات القذافي الاجرامية، التي تعشق الغوغائية والفوضى وتستريح للارهاب لقد حالت «عقدة العقيد» دون توظيف الظروف المحلية والعربية والافريقية والدولية من اجل الخير والبناء والعطاء لشعبه ولقارته وللبشرية جمعاء. وأغرته عوضاً عن ذلك بالسير وراء «عقدة العقيد» الدموية الاجرامية التخريبية من أجل «أحلام امبراطورية واهمة» تخرج به – في نظر نفسه – من عالم البشر ليتجاوز فيها عالم الانبياء والرسل (عليهم السلام) وليقترب في النهاية فيها من مقام «الاله» المهيمن المسير للكون بأجمعه.

ولقد نشرت مجلة المجتمع الطبية بحثا عن الهيستريا النفسية عدد فيه الكاتب عوارضها وعلامات هذه العوارض في نفس هتلر وأعماله ، نرى انها تنطبق على نفس القذافي وأعماله تمام الأنطباق.

يقول الكاتب أن المريض المصاب بالهيستريا ذكي متعدد الشواغل وان كان لا يتعمق في واحدة منها ، مولع بالاسرار لبق في التسلل الى مكامن الاهواء ، قادر على تجديد الصور في خياله وحدسه وربط التشتيت من الافكار بروابط غريبة وسطحية لا تنفذ الى اللباب ، وانه مستعد بالفطرة الى التغاضي عما لا يوافقه ولا يرضى لباقاته ، وانه جامع النفس في حبه وبغضه ، متقلب في أطواره وميوله ، تدور خواطره كلها على محور واحد هو نفسه وما يتفرز به حسه ، ويفتأ من أجل هذا متشوقا الى الثناء متعلقا بدواعي الغرور . منهوما بما يلفت الانظار ويخلب الافكار ، وتساعده على ذلك قدرة على الايحاء الى من حوله والايحاء الباطني الى صحبه ، فيحظى بينهم حظوة قلما ينالها من عرفوا من قدر الايماء والايحاء وتتعطل فيه مراكز الحس فيصاب بضرب من البلادة ويكل أحيانا عن الاحساس بالجوع والتعب والسهاد وهو ما يلوح للناس في هيأة الجلد والدأب والثبات .

ويشفع الكاتب كل صفة من هذه الصفات بما يدل عليها من كلام هتلر او من عاداته المعروفة وحركاته المشهورة ، فيحكم عليه بالمرض الهستيري وزيغ التكوين . وفي مقدورنا ايضا ان نشفع كل صفة من هذه الصفات بما يدل عليها من سلوك القذافي المريض .

ان القذافي شديد الطموح الى أن يكون له شأن وأي شأن في العالم ولديه الرغبة الجامحة في ان ينفرد بأمجاد لا حدود لها ، وقعت شخصية القذافي في تناقض شديد بين الرغبات الجامحة في خياله وحدسه وبين انعدام امكانية الوصول اليها سواء أكانت امكانيات عقلية أو تاريخية ...

ولولوع القذافي بالاسرار استطاع أن يستقطب أعضاء سابقين في وكالة المخابرات الامريكية وهما «ويلسون» و«تريل» ويشغلهم لديه ويغريهم بشتى الوسائل .. ونرى المثل الواضح لجموح القذافي في حبه وبغضه هو قصة علاقاته بمصر كيف بدأت حبا وانتهت بغضا وكراهية .

وللطب العقلي مدرسة اخرى غير مدرسة المباضع والعقاقير ومستشفى المجاذيب على طراز

البيمارستان القديم ، وهي مدرسة التحليل النفساني على مذهب فرويد ومذاهب تلاميذه الذين اقتبسوا منه اساس الفكرة وان ناقشوه في اجزائها أو اختطوا لانفسهم بعد ذلك خطة جديدة(١).

وكما كان لهذه المدرسة كلماتها في مزاج هتلر ، فان لها اليوم كلمتها في تركيب عقل القذافي وسريرة اخلاقه.

واذا كان منهم من قال ان هتلر رجل مكبوت الغرائز الجنسية لعله في تكوينه يدل عليها انه لم يتزوج ولم تعرف له صلة مألوفة بالنساء ، فهو من ثمة يرى في حب السطوة والقسوة منطلقا لغرائزه المكبوتة ينفس به عن ذلك الكبت الاليم ، فان القذافي على الرغم من انه تزوج اكثر من مرة ، الا انه مريض بنفس المرض. ويظهر ذلك في سلوك القذافي السياسي اوضح مايكون الظهور. فحينما امسك بكرسي السلطة ، اعلن طلاقه من زوجته ، لانها وقفت في وجهه بعد ان طغى !

وبعد حملة الاعتقالات التي قام بها القذافي في صفوف الاحرار الليبيين وبعد استنكار الشعب الليبي لما أتاه حاكمه ، بدأ الضغط داخل التراب الليبي ، وأحست النساء في ليبيا ان الخطر كبير وانهن عرضة الى الترمل واولادهن عرضة الى التيتم والتشرد تقول احدى النساء حائة قبيلة النوايل وأبناء الزاوية على الثورة :

نواويل والزاوية نخليكم

لا واعطوا نهار عالذريكم

خلي الرش يدقدق

وخلي العطشان يشرب دمه..

وهذا النشيج الباكي الحاث على الثورة يصور موقف الام والزوجة والابنة في المجتمع الليبي تجاه العقيد الذي رأى في حب السطوة والقسوة منطلقا لغرائزه المكبوتة فاتجه نحو تخريب الوطن الليبي واهدار امكانيات تطوره وتبديد ثرواته واذلاله والاستهانة بكل القيم والمقدسات وانتهاء ابسط مبادئ حقوق الانسان وحرياته وكرامته.

وتحت شعار «الحرية» صادر القذافي حريات كل المواطنين وحول ليبيا الأم الى سجن كبير... وباسم «الاشتراكية»! وزع الفقر على الجميع عدا المنتفعين بالنظام من السماسرة والاقارب والمحظوظين من ذوي العاهات. وباسم الحكم الشعبي مكن القذافي الغوغاء والانتهازية والعملاء ذوي العاهات من التسلط على رقاب الناس.

(١) العقاد : السابق ، ص ٩٥

وهناك اتفاق بين هتلر والقذافي في النشأة ، ذلك أن محنة الفقر والتشرد في الشباب الباكر قطعت مابينهما وبين الناس من رحم ومحبة وعودتهما سوء الظن وضعف الثقة بالمودة والوفاء ، فأصبحا غير صالحين لمبادلة الافراد عطفا بعطف وأخاء بأخاء ، وانحصرت علاقات القذافي ببني الانسان كما انحصرت علاقات هتلر بهم ، «في صورة الجماهير والجماعات ، التي يصطنعها هو ، فاما ان يحيا في الحركات السياسية التي تقوم على الجماهير والجماعات ، والا فليست حياة ! واما ان يستيئس في طلب الحركة السياسية والا افليس في بيئته الفردية متسع للعطف والشعور ، وكل ما تتسع له تلك البيئة الفردية بمعزل عن السياسة فانما هو الخيبة والنضوب»(١).

وهنا تجدر الاشارة الى أن القذافي منذ توليه سدة الحكم بعد انقلاب سبتمبر وهو يدعو لكل شئ جماهيري اي غوغائي وهي دعوة الى الهمجية وفك جميع الضوابط التي تحكم حياة المجتمعات فرأى في القانون ورجاله ضبطا من الضوابط في خطاب زواره سنة ١٩٧٣ .

«أول شئ تتعطل كافة القوانين المعمول بها الان وتوضع العقوبات والاجراءات حالا».. فأبتدأ القذافي يرى الشعب الليبي وكأنه جرذان للتجارب فابتدأ بفكرة تكوين اللجان الشعبية ودعاهم للزحف على كل شئ ، ثم رأى مرة أخرى ان اللجان الشعبية لاتشفي غليله فلجأ الى فكرة اللجان الثورية وحرضها وأعطاها السلاح لتطهير المجتمع ؟! فسعت هذه اللجان التي لم ينضم لها الا الفاشل والساقط ومن عنده شذوذ وشذاذ الافاق ورأى القذافي في هذه اللجان الغوغائية انها الطليعة في المجتمع الليبي بل وفي العالم أجمع فقال في خطابه في مدينة بنغازي ١٩٧٩٦٢X وقد نشر بجريدة الاسبوع السياسي الليبية ص ٣ و ٩ مارس ١٩٧٩ :

«وهكذا فان اللجان الثورية في الجماهيرية العربية الليبية الشعبية الاشتراكية هي طليعة الزحف الاخضر في العالم كله وهي تشكل حركة عالمية جديدة وهكذا ستصبح حركة اللجان الثورية حتما حركة قومية بالنسبة للامة العربية ثم ستصبح حركة اسلامية بالنسبة للعالم الاسلامي ثم ستصبح حركة عالمية بالنسبة للعالم كله».

ان اللجان الثورية في ليبيا ماهي الا طليعة الخراب والفساد والدمار فالقذافي لايستطيع ان يعيش ويرضي غليله الا وسط هذا المجتمع الفوري الذي يراه طليعة الاصلاح ! ! لا يستطيع القذافي العيش الا وسط الجماعات الغوغائية وهي التي تهتف له كل أوهامه وجرائمه في الداخل والخارج ، أما على مستوى الرجال والعلاقات الفردية السوية التي تقوم على النقاش والحوار فهو لا يقبلها ولا يسمح بها ويعتبرها ظاهرة مرضية . وكما يبغض القذافي اي اشارة للماضي ، او لصورة نشأته لاحظ النفسانيون ان هتلر ـــ كان يقتضب الكلام اقتضابا عن ابيه واهله ، ولا

(١) العقاد : السابق ، ٩٦

يبدو عليه الارتياح الى هذه السيرة فيا يكتبه او يتحدث به لتابعيه وخاصة رفقائه . في الامر شك ، سر مجهول غير ماهو معلوم مما تقدم ، وفيه الكفاية للدلالة على انحراف الصفات الموروثة(١) . بل ان القذافي يزعم ان ليبيا لم تكن بها حركة وطنية قبل اول سبتمبر ١٩٦٩ ، **ورحم الله صالح حرب الذي قال : ان ليبيا علمت العرب والمسلمين الجهاد !**

فانكار القذافي لهذا التاريخ النضالي للشعب الليبي ، هو انكار للماضي الذي يبغضه ، كأي حاقد جاهل ، وهو لذلك يسرع بسجن وقتل الوطنيين وسحق كل ذي سمعة طيبة ، وكل ذي ماضي مشرف ، لان العقيد مع هؤلاء يشعر بضآلته وحقارته وصغاره ، ويظهر عاريا على حقيقته .

ولذاكان القذافي مغرما بقتل الحشرات والحيوانات في صغره وهذا يشبه الى حد كبير حبس هتلر للعصافير الذي قد يدل على كل شئ «الا العطف عليها لان الم المخلوق الذي ركب الله له جناحين لذرع الفضاء وهو محبوس في شبرين أمر لا يحتاج الى خيال كبير» فان لم تكن ألفة الحيوان مقرونة بشواهد الرحمة حيث وجبت الرحمة فهي دليل على فقر الشعور لاعلى وفرته وغناه ونبل مغزاه لانها دليل العجز عن كسب المودة بمجهود عظيم(٢) .

فتروى احدى القصص ان القذافي كان يرعى بعض الماعز في صغره وحنق على احداهن لكثرة صياحها فخنقها وقتلها ...

وفي مقابلة للاستاذ أحمد ابراهيم أحواس(٣) «ان القذافي كان يمارس العنف في تصرفات حمقاء ، وأذكر انه كان يعمل ضابط مناوبة ، عندما ارتكب أحد الجنود خطأ لم يرق له ، فأمر بربطه في سيارة ثم جره مسافة طويلة . وعندما فقد الوعي أمر جنوده بأن يدوسوا عليه ، حتى جاء ضابط اخر وأسعفه ونقله الى المستشفى . ولا زلت أذكر اسم ذلك الجندي ، انه عثمان النجار ...»

والامثلة كثيرة ومأساة اعدام الضباط بالعشرات وعلى مرأى من عينه قصص لاتنسى . وأؤكد انه اثناء شنق المواطنين محمد بن سعود وعمر دبوب وعمر الورفلي كان واقفا في مبنى الاتحاد الاشتراكي يشاهد العملية ويتلذذ بها» ...

ويذكرنا موقف القذافي ليلة الانقلاب ، وهروبه ، و«شجاعته» ، المزعومة «بشجاعة» هتلر ، في واقعة ميونخ التي حاول بها اسقاط الحكومة ثم صدمته طلقات النار من حراسها فلاذ بالفرار .

(١) العقاد : السابق ، ص ٩٧ (٢) العقاد : السابق ، ص ١٠٧

(٣) الوطن العربي ، العدد ٢١٣ من ١٣/١٩ مارس ١٩٨١ ص ١٦

قال شهود العيان في تلك الواقعة أن اندورف وجورنج صمدا لطلقات النار ، فأسر اندروف وجرح جورنج ثم نجا بنفسه الى ماوراء الحدود أما هتلر فسرعان ماسمع الطلقة الأولى حتى طرح نفسه على الأرض فجأة بغير احتراس ، فانخلعت كتفه لشدة الوقعة وتقرر ذلك في الكشف الطبي الذي اجرى عند اعتقاله ، وكأنما كان يحسب حساب الفرار قبل الهجوم فأوصى سيارة ان تلحق به وركبها وحده دون ان ينتظر فيها انقاذ أحد من زملائه في تلك المخاطرة[1].

ماذا فعل القذافي ليلة الانقلاب وهو في طريقه الى احتلال اذاعة بنغازي عندما تحرك الجيش ليلة ٦٩/٩/١ من معسكر قاريونس في رتل واحدة مع معمر القذافي لاحتلال مبنى الاذاعة والتليفزيون في بنغازي اختار القذافي ان يركب في سيارة جيش بمفرده وركب عمر المحيشي واحمد المقريف بجوار السائق في سيارات «البيد فورد» ناقلات الجنود ، كان الهدف محددا وعندما وصل الرتل الى الاذاعة افتقد الجميع الملازم معمر القذافي وخصوصا انه اقدم رتبة . فقام النقيب احمد المقريف بالواجب وأصدر الاوامر باقتحام المبنى ، وعند اتمام المهمة أصبحوا يبحثون عن القذافي الذي وجد في مبنى الضباط مختبئا داخل غرفة نومه وقافلا على نفسه الباب ويصف أحد الضباط الموقف ان القذافي عندما فتح الباب رد بذلة وخضوع وأصبح صوته يشبه صوت الانثى وأجاب على تصرفه هذا بأن «الرتل ضاع منه..».

وقصارى القول ان شجاعة القذافي لم تثبت ، شأنها شأن شجاعة «هتلر» ثبوت اليقين ، ولم تخف قط على فطنة الشك والانكار ، ولم نعرف لها مؤيدا من مسلكه كمسلك هتلر الطويل في قيادة الامة الالمانية ، وهو يحيط نفسه —كهتلر— بالحراس والجواسيس ويوشك ان يتحصن من اقرب المقربين مما لم يعهد له نظير في سراديب أجبن القياصرة والخوافين»[2].

فلنسرد بعض نماذج خوف القذافي وجبنه :

أصبح القذافي لاسكن له ، وتقول الانباء ان القذافي يغير الاقامة كل ليلة اكثر من مرة وبشكل مفاجئ بالنسبة لاقرب حراسه.. وتشير الاخبار ان القذافي في الاونة الاخيرة حضر الى احدى البنوك ليلا بمنطقة «الرويسات» ودخل على الشرطي المكلف بالحراسة وسحب سلاحه ثم قفل عليه في غرفة ونام داخل البنك بمفرده...

ويشعر كل من حول القذافي بازدياد شكوكه وعدم مقدرته على الثقة في اي ممن يعملون معه ، ولوحظ في المدة الاخيرة استجلاب حوالي ٣٠٠٠ شخص من المانيا الشرقية وهم مايطلق عليهم «الفيرماخت» او الجيش الجديد وكلهم لحراسة القذافي الشخصية وهؤلاء الافراد كانوا متواجدين في السابق بموزامبيق واليمن الجنوبية.. كما لوحظ أخيرا استجلاب

(١) العقاد : السابق ، ص ١١١

(٢) العقاد : السابق ، ص ١١٢

معدات الكترونية يمر عليها زواره ، وهي اجهزة شبيهة بالتي توضع بالمطارات الدولية لمكافحة الارهاب ..

وقد جاءت المعلومات ان القذافي اصبح يميل الى العزلة التامة خوفا من الاغتيال وان تحرك فهو يتحرك بشكل فجائي دون معرفة احد من حراسه الامر الذي أرهق الحراس والذين هم من افراد قبيلته ولم يعودوا قادرين على اخفاء استيائهم .

وهكذا كل يوم يمر تنكشف الشجاعة الكاذبة للقذافي .

يقول العقاد رحمه الله :

« وللعلم بمبلغ الصدق في خلق الرجال السياسيين لايصح ان تسأل : هل يكذبون؟ فان الرجل السياسي قد يكذب وطبعه صادق ، وقد يلجأ الى الكذب حين يلجأ وهو مغصوص مغصوب كما يفعل الانسان وهو يتجرع الدواء العلقمي ، لضرورة من ضرورات الداء .

وانما يكون السؤال : ماذا يكلفه الكذب؟ هل يكذب وهو مستريح او يكذب وهو مكروه متبرم؟ وهل يسترسل في كذبه او يقتصر فيه اقتصارا على قدر المصلحة المؤقتة؟ وهل يتجاوز الحد في اختلاقه او يكتفي بكتمان الحقيقة وتلوينها بغير لونها؟ .

فالسياسة كالحرب خدعة ، وليس كل كلام يقوله السياسيون صادقا جد الصدق في حرفه ومعناه . فيجب الا تحكم على السياسي بكذب كلامه بل الواجب ان تحكم عليه بحالته وهو يكذب ، فان هذه الحالة هي التي تبين لنا هل هو رجل صادق يشذ في كذبه او هو رجل كاذب يطرد في قياس عاداته حين يختلق مايختلق من الاكاذيب(١) .

فاذا رجعنا الى هذا القياس مع هتلر ثم القذافي من بعده فكيف نجده في كذبه؟ انه لم يكذب قط كما يتجرع المرء الدواء الكريه ، ولم يكتف قط من الكذب بمقدار معقول ، ولكنه يكذب كمن يكرع من شراب لذيذ يعب منه عبا ويخشى ان تنزع كأسه من يديه ..!! .

واذا كان هذا القول ينطبق على هتلر في ميزان العقاد ، فانه ايضا أكثر انطباقا على تلميذ هتلر غير الفالح معمر القذافي .

انظر مثلا ..

انه عندما اعلن عن التصفية الجسدية فانه تم بدون علمه وهذا قرار اتخذه الشعب؟ وكذلك في حديثه مع عبدالستار طويلة في احدى المقابلات قال ان تدبير مؤامرة قتل المحيشي

(١) العقاد : السابق ، ص ١١٤

اتخذه الضباط دون علمه في الوقت الذي يؤكد ان الجيشي خائن ويستحق القتل.

فالقذافي كهتلر رجل يستمرئ الكذب غير مقتصد فيه وغير «مبال بعقباه . وليس الكذب عنده جرعة دواء مكروه ، ولكنه شراب سائغ يعب منه الظمآن».

والامثلة على كذب القذافي لاتعد ولا تحصى ، فبعد المسيرة المشهورة التي نظمها القذافي للزحف على مصر لتحقيق «الوحدة الاندماجية» وساهمت فيها جميع اجهزة الدولة من سيارات واكل وشراب واذاعة حتى «بلدوزر» لتحطيم الحدود وعندما سئل القذافي عن هذه المسيرة قال اني لاعلم لي بهذه المسيرة لانني كنت مستقيلا؟!!

وفي لقاء تليفزيوني مع القذافي أجرته معه محطة امريكية بعد قفل سفارة القذافي في واشنطن سئل عن محاولة اغتيال الدكتور فيصل الزقلعي ومدى ارتباطه بها : قال انني لا اعلم عن هذه الحادثة .. وبعدها بقليل قال :«انا قلت ان الذي يأتي ويرجع لليبيا استطيع حمايته اما من يبقى في الخارج فانا لاحماية لي عليه والجماهير الثورية ستقتص منه؟!

كذلك يمكن الرجوع الى قصة الانقلاب على لسان القذافي فقد حكى هذه القصة عدة مرات بأشكال مختلفة!!

واذا كانت التناقضات ثمرة للكذب ، فان تناقضات القذافي تتضح في اكثر من موقف ومن ذلك ماكتبته توفال ابسرفاتور— في تحليل احداث قفصه!

وتنكشف لنا غرابة اطوار القذافي ، على النحو الذي يذكرنا بغرابة هتلر «في مسكنه ومطعمه وفرحته وسلواه ، فيبدو لنا بعقل نصفه في النور ونصفه في الظلام او نصفه في صحوة الواقع ونصفه في غياهب الاحلام والاوهام : انسان يهرب : انسان يلوذ بالفرار .. ومن ثم يبدو لنا انه فيما يرتمي اليه من ضجة السياسة ودوي الحركة ومواكب الجيوش ومظاهر السطوة انما هو انسان هارب ، لائذ بالفرار»(١).

فما يروى عن القذافي اثناء تواجده بالكلية العسكرية انه كان معزولا وغير محبوب من رفاقه ، كان يحس نفسه معزولا ، ولم يكن يتناول طعامه مع رفاقه ، وانما كان يأكل وحده ، عندما يخرج زملاؤه.

وبعد الاستئثار بالسلطة ونتيجة لطفولته وعقله الذي نصفه في النور ونصفه في الظلام بنى قصرا فخما كبيرا ووضع امامه خيمة ليموه على الناس ويسترجع طفولته التعيسة التي يستمد منها

(١) العقاد : السابق ، ص ١١٧

كل حقده على البشر. واما عن هروبه فيمكن الرجوع الى قصة هروبة ليلة الانقلاب.

وتفسير ذلك نفسيا ان القذافي يتميز بسمات نموذج الحالم في عالم متيقظ ومن اهمها اسقاط عقيدته الدينية والتشكيك فيها، وهدم اصولها لاحداث فتنة تشفى ذاته المريض بالاضافة الى انسحابه من صلاته الاجتماعية العادية بالناس انسحابا يكاد يكون تاما وقطع كل صلة له بالواقع الخارجي وتوجيه كل طاقاته الذهنية لخلق عالم من الاوهام والخيالات يعيش فيه فيعفيه من مواجهة مشاكله ومن أي شيْ، واذا به يشعر ان ماحواليه من العالم الخارجي وهم لا حقيقة فهو حالم في عالم متيقظ.

والقذافي كشخصية فصامية تربة صالحة للاستغلال الفكري والانقياد لخلق اتجاهات غير صالحة للمجتمع الذي يعيش فيه وللاسوياء من حوله[1].

اما تقلب القذافي الانفعالي فيبدو —كما تقدم— على نحو ظاهر في معاملاته المتذبذبة مع الناس، فاذا به يؤذي كل من يتردد اليه، واستجاباته الانفعالية غالبا ما تبدو سخيفة لاتناسب الظروف التي يثيرها فهو يثور لاتفه الاسباب ويتقبل موت صديقه كما يتقبل طعامه. وقد يضحك لما يؤلم ويألم لما يثير الضحك!

ومن الاعراض الرئيسية المشتركة لشخصية القذافي المرضية لجوؤه الى الاعتكاف عن المجتمع يختار مكانا بعيدا عن الناس يعكف فيه غاضبا وقد يتخلل هذه الحالة صرخات مفاجئة ليس لها سبب ظاهر او يعتدي على الغير او يأخذ في تدمير الاثاث أو أي شيْ يطوله، او يأمر اتباعه بتدمير من يعترض عليه واحداث انفجارات فجائية وغالبا ماتكون هذه الانفجارات استجابة لهلاوس تؤثر فيه..

واضطراب تفكير القذافي كفصامي لا يقل ظهورا او غرابة عن اضطرابات انفعالاته وسلوكه، ويبدو هذا الاضطراب في لغته وأحاديثه بوجه خاص— فاللغة مطية الفكر وأداة التعبير عنه الى حد كبير— ولهذا فان كلامه لا يتقيد بالواقع ولا يخضع لقيود منطقية او اجتماعية بل ان تفكير القذافي تثيره وتوجهه رغباته وحاجاته الشخصية وهذيان العظمة يسيطر على تفكيره في كل شيْ، بل انه ايضا لم يجد غضاضة او مانعا في أن يدعي النبوة، وان يعتقد انه «هتلر» والاخيرة اصدق.

(١) صحيفة المدينة المنورة في ٢١ ذو الحجة ١٤٠٠

القذافي بين الشذوذ النفسي والمرض العقلي

يظهرنا ميزان التحليل النفسي على أن القذافي يمثل الحياة العقلية الشاذة خير تمثيل ، ذلك ان سلوكه السياسي والاجتماعي نتاج الاضطرابات في حياته العقلية ، ويصنف الاستاذ « أوبرى لويس » اشكال الاضطراب العقلي في صنفين اساسيين : الاول : الصنف العضوي . والثاني : الصنف الوظيفي .

القذافي والشذوذ النفسي :

وفي تحليل نفسية القذافي نواجه بأمراض خاصة بالنواحي الانفعالية تتميز في مظهرها العام باضطرابات على شكل انزعاج او ضيق او قلق ، يظهر في مواقفه السياسية والاجتماعية المختلفة ، كما يصبغ كل القرارات التي يتخذها دائما . كما تواجهنا نفسية القذافي كذلك بأمراض خاصة بالاضطراب العميق في طاقة التفكير ، ولذلك نراه دائما شأنه شأن المصابين به — تتسلط عليه معتقدات زائفة مكررة على شكل هذيان وهي تسيطر على المريض بشكل ملحوظ ، كما يمثل القذافي كذلك الشخصية « السيكوباثية » التي تظهر في علاقته ببيئته داخل ليبيا وخارجها عربيا وافريقيا ودوليا .

وواقع الامر ان تصرفات القذافي تنطبق عليها كل صفات الشذوذ النفسي ، فهو يشكك في العقيدة كما يفعل الفصامي ، ويهدم اصولها لاحداث فتنة تشفي ذاته المريضة وقد بدأ القذافي في تنفيذ مخططه فتحدث كذبا عن وقوع مكة المكرمة والكعبة المشرفة والمدينة المنورة وقبر الرسول صلى الله عليه وسلم وجبل عرفات تحت الاحتلال الامريكي وادعى ان الذي يذهب ليؤدي شعائر الحج التقليدية انما يمارس عبادة ساذجة ليست التي ارادها الله الى آخر مانطق به من كفر وتضليل .

وهذه التصرفات التي هي علامة الشذوذ النفسي ، من الجرائم التي فيها اعتداء على حق الله تعالى ، وهو الحق الذي يقابل مايسمى حق المجتمع ، ذلك أن حقوق الله تعالى بالنسبة للعقوبة والجرائم التي تستوجبها — يتصل بما يكون من شأنه ان يجعل الجماعة تعيش في طهر ديني ، وفي فضيلة سائدة ، فان الفضيلة كما هي حماية المجتمع من جرائم الانحلال التي تحل عراه ، عروة عروة — هي من أمر الدين ، وحكم الشرائع السماوية كلها ، ولذلك شرفها الله سبحانه وتعالى بأن تولى العقاب على مخالفتها[1] .

(١) محمد أبو زهرة : الجريمة والعقوبة في الفقه الاسلامي - القاهرة دار الفكر العربي ص ٦٧

والقذافي في سلوكه النفسي الشاذ ، ينطبق عليه حد قطاع الطريق ، ذلك انه قد تفوق على العصابات التي تجتمع وتتفق على السلب ، وترويع الناس ، وهؤلاء قال الله فيهم : «إِنَّمَا جَزَاءُ الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللهَ وَرَسُولَهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الأَرْضِ فَسَاداً أَنْ يُقَتَّلُوا أَوْ يُصَلَّبُوا أَوْ تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُم مِنْ خِلافٍ أَوْ يُنْفَوا مِنَ الأَرْضِ ، ذَلِكَ لَهُم خِزْيٌ فِي الدُّنْيَا ، وَلَهُم فِي الآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ، إِلاَّ الَّذِينَ تَابُوا مِنْ قَبْلِ أَنْ تَقْدِرُوا عَلَيْهِم فَاعْلَمُوا أَنَّ اللهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ» . (آية ٣٥ و ٣٦ : سورة المائدة) .

وهذه الجريمة التي تفوق فيها القذافي على قطاع الطرق ، جريمة مزدوجة ، اذ فيها امران : الخروج بهذه القوة التي تهدد الآمنين ، وتفزع المطمئنين ، والجريمة الثانية الاعتداء بالفعل بالقتل والسرقة[1] .

وهذه الجريمة القذافية من الجرائم التي تكون عقوبتها حدا من حدود الله تعالى فهي تتضمن في جملتها معنى من معاني التمرد على الولاية العامة ، والمجاهرة بالاجرام ، وتتضمن : الاتفاق الآثم ، جريمة منفردة مادام قد اقترن به مايدل على التنفيذ ، وان فات التنفيذ بامر لم يكن في حسبانهم ، كما نظر الى ذلك الامام مالك رضى الله عنه ، وفيها جرائم اخرى ، وهي جرائم القتل وسلب الاموال وهتك الاعراض[2] .

وان هذا التعدد ، والتشعب في هذه الجريمة القذافية ، جعل الشارع الاسلامي عقوبتها حدا من حدود الله هي أقصى الحدود ، وأعنفها وأزجرها[3] .

والتصرفات الفصامية في شخصية القذافي ، والتي تدفع به الى التشكيك في العقيدة واحداث فتنة تشفي ذاته المريضة ، تتضمن جرائم الاعتداء المباشر على المجتمع وعلى اوامر الله ونواهيه ، فهو حينما يشكك في الحج او الصلاة ، انما يعتدي اعتداء مباشرا على الدين وعلى الجماعة ، وهو يعتدي على حقوق الله تعالى[4] .

ولقد قرر الاكثرون من الفقهاء انه يجوز التعزير بالقتل اذا لم يجهد سواه ، وذلك اذا عم الفساد من رجل ــ كما يحدث بالنسبة للقذافي ــ «ولم ينقطع شره ، تكررت منه الجرائم ، فانه يصح ان تكون عقوبته القتل ، وعن الامام مالك من الجرائم ماتكون عقوبته القتل ، وروى مثل ذلك عن اكثر الائمة . وان لذلك اصلا من السنة ، فانه يروي في صحيح مسلم ان رسول الله ﷺ قال : «ستكون هنات وهنات فمن أراد أن يفرق امر هذه الامة ، وهي جميع فاضربوه بالسيف كائنا من كان»[5] .

(١) الجريمة والعقوبة ص ٦٩
(٢) (٣) الجريمة والعقوبة ص ١٠٥
(٤) أبو زهرة : الجريمة والعقوبة ص ١٢٩
(٥) أبو زهرة : الجريمة والعقوبة ص ١٣٠

ترى هل من اجل ذلك انكر القذافي السنة النبوية ؟ واذا كان الامر كذلك ، فهل نسي أن كل حكم مخالف للقرآن أو السنة أو الامور التي علمت من الدين بالضرورة ،حكم باطل بل يكون هو في ذاته معصية ؟ ان شأن القذافي شأن بعض الحكام حينما قال : «من قال لي أتق الله قطعت عنقه» فان حكمه باطل وليس الفعل الذي اعتبره جريمة هو المعصية ، انما قوله وحكمه هو المعصية الائمة الفاجرة[1].

فالحاكم لا يعتبر شرعيا يحكم بالاسلام الا اذا جعل هواه وارادته وتصرفاته تبعا للقرآن والسنة ، كما قال النبي ﷺ : «لايؤمن أحدكم حتى يكون هواه تبعا لما جئت به» . وان الادلة التي تدل على بطلان الاحكام التي جأ بها القذافي مخالفة هدى القرآن وهدى النبي ﷺ كثيرة . منها قول الله سبحانه وتعالى : «وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلاَ مُؤْمِنَةٍ اذَا قَضَى اللهُ وَرَسُولُهُ أَمْراً أَنْ تَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِم» (الاحزاب آية ٣٦) فان هذا النص الصريح يثبت انه لا يجوز للمؤمن أن يختار شيئا يخالف أمر الله تعالى ورسوله ، فاذا أمر الله تعالى أو رسوله بأمر فليس للمؤمن الا أن يطيع ، وليس له أن يتميز بين الطاعة والرد ، اذ أنه أمر لازم حتما ، وأن تأول في الطاعة يجب أن يكون معتمدا على أمر آخر لله ولرسوله ، فهو في دائرة أوامر الايمان لايخرج عنها الا اليها .

ومنها قوله الله تعالى : «يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الأَمْرِ مِنْكُم ، فَإِنْ تَنَازَعْتُم فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللهِ وَالرَّسُولِ إِنْ كُنْتُم تُؤْمِنُونَ بِاللهِ وَالْيَومِ الآخِرِ ، ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلاً ، أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُم آمَنُوا بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ ، وَمَا أُنْزِلَ مِنْ قَبْلِكَ ، يُرِيدُونَ أَنْ يَتَحَاكَمُوا إِلَى الطَّاغُوتِ وَقَدْ أُمِرُوا أَنْ يَكْفُرُوا بِهِ ، وَيُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُضِلَّهُمْ ضَلاَلاً بَعِيداً» (النساء آية :٥٨ – ٥٩)

الى أن قال سبحانه : «فَلاَ وَرَبِّكَ لا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُم ثُمَّ لاَ يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِم حَرَجاً مِمَّا قَضَيْتَ ، وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيماً» (النساء آية : ٦٤) .

في هذا النص القرآني الكريم — كما يقول الامام ابوزهرة — يبين الله سبحانه وتعالى ثلاثة أمور :

أولها : ان طاعة الله ورسوله واجبة ، فمن حرم أو أباح بغير سند من كتاب الله وسنة رسوله — كما يفعل القذافي اليوم — فقد خالف الواجب المفروض ، وهو الطاعة المطلقة لله ولرسوله ، ومن خالفها — مثل القذافي — لا يعد عمله شرعيا بل يكون باطلا بطلانا أصليا ، لان النبي ﷺ يقول : «من احدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو ردٌّ» .

(١) أبو زهرة : الجريمة والعقوبة ص ٣١٢

ثانيها : ان مخالفة اوامر الله تعالى هو اتباع للهوى ، واتباع الهوى هو سير في طريق الطاغوت . والطاغوت هو ظلم الطاغي ، والشيطان الطاغي ، والقذافي الطاغي ، والشيطان بطغيانه ، والقذافي بطغيانه ، والظلم بطغيانه ، يتلاقون في طريق واحد ، هو طريق الهوى والضلال .

ثالثها : ان الايمان يقتضي حتما الاحتكام الى شريعة القرآن . فلا يؤمن من يخالف في حكمه شريعة الله ورسوله ، وقد اقسم الله سبحانه بذاته العلية على ذلك «وانه لقسم لو تعلمون عظيم» وليس لمؤمن علة من قسم الله تعالى بذاته المقدسة . ولا مقدس في هذا الوجود غيرها ، وان كل امريكون مناقضا للايمان فهو رد على صاحبه ، ويكون باطلا ولا مناص من الحكم ببطلانه .

ومنها ان الله سبحانه وتعالى قد اعتبر الحكم بخلاف ما أمر — كما يصنع القذافي — يكون فسقا ، ويكون ظلما ، ويكون كفرا ، فقد قال سبحانه : «وَمَنْ لَمْ يَحْكُم بِمَا أَنْزَلَ الله فأولَئِكَ هُم الفَاسِقون» وقال سبحانه : «وَمَنْ لَم يَحكُمْ بِمَا أَنْزَلَ الله فَأُلَئِكَ هُم الظَالِمُون» وقال سبحانه وتعالى : «وَمَنْ لَم يَحكُمْ بِمَا أَنزَلَ الله فأُلَئِكَ هُم الكَافِرُون» وان أول المراتب المؤكدة في الحكم بغير ما أنزل الله هو الفسق ، لان ما يصنعه القذافي خروج عن الطاعة ومفارقة لحكم الله تعالى .. والمرتبة الثانية وهي الاعلى من الاولى هي مرتبة الظلم ، وتلك تتضمن أمرين في السلوك الشاذ عند القذافي : الفسق عن أمر الله ونهيه ، وتتضمن أمرا ثانيا ، وهو الظلم لعباده فالظلم فسق وتعد على العباد .

والمرتبة الثالثة وهي التي تنزل بالقذافي في أسفل سافلين وهي الكفر وذلك لانه ومن يوالونه يعتقدون ان حكمه هو العدل ، وحكم الله تعالى هو الظلم .

وحينما ينكر القذافي السنة النبوية ، فانما ينكرها لانها بينت حدود ولي الامر في الطاعة ، فقد قال النبي ﷺ : «لاطاعة لمخلوق في معصية الخالق» وقال ﷺ : «انما الطاعة في المعروف» أي الامر الذي تعرفه العقول ولا تستنكره ، ولقد قال رسول الله ﷺ في شأن الولاء (لاطاعة لمخلوق في معصية الخالق) .

ولقد قال ابوبكر خليفة رسول الله ﷺ : «أطيعوني ما أطعت الله فيكم ، فان عصيته فلا طاعة لي عليكم» ولقد قال عمر بن الخطاب في أول ولايته «من رأى منكم في اعوجاجا فليقومه» .

لهذا ينكر القذافي السنة النبوية ، ويشكك في العقيدة ويحاول هدم أصولها لاحداث فتنة تشفي ذاته الفصامية ، وهي التي تسم كذلك بصفات الانسحاب من صلاته الاجتماعية

العادية بالناس وتوجيه كل طاقاته الذهنية لخلق عالم من الأوهام والخيالات . وقد ورد على لسان الدكتور محمد يوسف المقريف (الذي كان يعمل مع القذافي بدرجة وزير عام منذ ١٩٧٢ ثم سفيرا لليبيا في الهند عام ١٩٧٧ واضطر الى تقديم استقالته استجابة لنداء ضميره الوطني وانضم للمعارضة ضد القذافي) ما نصه : «اذا كان القذافي لايستطيع ان يقيم علاقة اجتماعية صحيحة مع أقرب الناس اليه في بيته فكيف يقوى على اقامة مجتمع سليم في دولة ليبيا؟». وعلل الدكتور المقريف ذلك بقوله : «ان حرمان القذافي في طفولته ولد في نفسه شحنات من الحقد على المجتمع بكامله ، ومن سوء حظ الليبيين أن الظروف والاقدار مكنته من الوصول الى السلطة ليتقم منهم بشكل لاحدود له».

والقذافي كشخصية فصامية جاء تربة صالحة للاستغلال الفكري فأصبح اداة طيعة للشيوعية ، يحركه الشيوعيون بدهاء ضد الاديان والديموقراطية في الوطن العربي وافريقيا وامريكا والعالم من حوله جميعا .

ومن مظاهر شذوذه النفسي انه ادعى انه (أمين القومية العربية) ثم كلف مؤلفه أجنبية لتنشر عنه كتيبا رخيصا باسم «رسول الصحراء» ! وراح يوزع أموال الشعب الليبي على مرتزقة الاعلام العربي والاجنبي ليدقوا له الطبول ، وجاءه المخاض لبلد «النظرية الثالثة» متجاهلا الفكر الانساني كله ، متصورا أنه «نبي جديد»!؟

ان مفهوم المرض العقلي يتناول كل مايدخل تحت الاضطرابات الانفعالية والحكم على الاشياء والسلوك والشخصية بصفة عامة ، ففي كل حالة يحدث هذا الاضطراب بحيث يبدو العالم الخارجي في صورة من الشذوذ وعدم التوافق اعتبرنا انفسنا امام حالة من حالات المرض العقلي[١]. والمرض العقلي يجعل صاحبه — كما هو الحال مع القذافي — يعاني اختلالا شاملا واضطرابا في شخصيته ، ويؤدي به الى اختلال بعض وسائل التكيف والتوافق الاجتماعي ، ولذلك نجد ان القذافي في سلوكه المرضي يجعل الاسباب الكامنة وراء شذوذه ، ويرجع ذلك الى ان القذافي ليست لديه بصيرة بمشكلته .

ولذلك أجمع مراقبو الاحداث ومحللوا السياسية الدولية على أن القذافي « مخلوق غريب ، وغريب جدا ، فمن الصعب التنبؤ بتصرفاته ، ومن ثم فان سلوكه الانفعالي لايمكن ان يحسب بدقة » .

فاذا كان القذافي عصابيا ، وله شخصية تتميز بسهولة الاستهواء ، فانه مصاب بهذاءات منتظمة من الصعب تغييرها ، مع استشعار بالنقص ، وفي حالات ذهانية قدم « النظرية الثالثة » ! ومن اعراض المرض القذافي : المرح الطفولي — تطاير الافكار — النشاط الحركي . وهي عند القذافي تتخذ شكل نوبات متتابعة يسقط اثرها صريع حالات أشد ايلاما ، يتجاوز مرضه النواحي الوجدانية الى النواحي الذهنية ، فيقع في مصيدة الخيالات المريضة ، والمعتقدات الوهمية ، كما يفقد قدرته الذاتية على الاستبصار .

يتضح مثل هذا الهوس في آرائه المتعجلة ، ومشروعاته السياسية المشهورة ، جاعلا من مرحه الطفولي « عنادا » يرفض اي نقد يوجه لافكاره ، متميزا بمزاج دوري متقلب بين الرضى والغضب لاتفه الاسباب ، وقد يتحول عناده الى « دوجما » لايستطيع تخطيها الا بالتهور والتصرفات الطائشة . ومن ثم فانه يعاني أزمة « هبوط وجداني » فقد تنحط به النوبات الانفعالية الى مستوى بدائي فج ، فلا يحس باحساس الآخرين ، ولا يندم على مايرتكبه في حق الغير . وتلاحظ نتائج ذلك في مجالات سلوكية منها : موقفه المتخاذل من حرب اكتوبر (تشرين الاول) ١٩٧٣ ، وتصفيته الجسدية لمعارضيه من القوى الوطنية الليبية[٢]. ومحاربته لامريكا في خطاباته الميكروفونية ، ولجوؤه الى الارهاب والاغتيال ، ومحاولته اغتيال الرئيس الامريكي ريجان ، وفشله في مشاريعه الوحدوية مع مصر — تونس — السودان — مالطا —

(١) د . مصطفى فهمي : المرجع السابق ص ١٥ (٢) جريدة الثورة : بغداد ٢١ — ١٠ — ١٩٨٠

سوريا (للمرة الثانية — واشعال الحرب في تشاد... الخ الخ.

وفي ظل «جماهيرية العقيد» خلق ما يسمى «بالمؤتمرات الشعبية».. وهي صورة للفكر المريض عند العقيد أدمت قلوب ابناء ليبيا والعروبة، وكل أنصار الديموقراطية في العالم.

الهوس القذافي

ومن ذلك يتضح ان القذافي قد أصيب بالهوس (MANIA) بدرجاته المختلفة، في الدرجة الاولى يتميز سلوك القذافي بما يسمى (شبه الهوس) حيث يرغب في احتكار الحديث ورفض أية معارضة لما يقوله او يفعله، كما انه يصعب عليه احتمال النقد. هذا ويلاحظ كذلك ان القذافي يشترك مع المصابين بهذا النوع من المرض في انه يزج نفسه في امور لاتخصه. وخلاصة القول فانه يطلق العنان دائما لعواطفه التي تكون مكبوتة.

ومن ذلك قول القذافي:

«أنا لا أقبل ان المجتمع الذي أعيش فيه أنا وأولادي ان يحكمه حزب أو تحكمه مجموعة احزاب.. وعندما نجد واحد منكم يتكلم عن الحزبية لايستحق الا العقاب بدون محاكمة»(1).

وقال ايضا:

«طالب ساذج يقول عنا حركة عسكرية.. نريد ان نغسل مخكم المتعفن هذا. هل تعرفوا ماهي كلمة عسكرية. انا الديموقراطية في دمي احسن منك انت وانت الذي تتكلم على هذه الاشياء والله العظيم لو انك تحكم الشعب تجعلها نارا وتحيلها جحيما اذن ماهذا الكلام الفارغ الذي يحكى به عن العسكرية هذا لايستحق ان يكون طالبا في الجامعة ولا يستحق ان يكون بيننا اعتبارا من الان.. الشعب هو الذي يدفع للجامعة من ميزانية الشعب.. تريدون الجامعة حرة والصحافة حرة حسنا ادفعوا ثمن هذه المدينة الجامعية ٥٠ مليون وادفعوا ثمن الكتب والمحاضرات اذهبوا اجمعوها شاهدوا السذاجة ان كنا بنعرى العقليات الساذجة التي تستحق السحق ولا مكان لها بيننا لافي الجامعة ولافي مكان آخر فمازلت اتكلم عن الاغلبية هذه السلبية القائمة والغير قادرة أن تنتقم من اعدائها»(2).

«أما انا فسئمت قطعا خاصة من الجامعات والكتابات والكلام الذي فيها والاتحاد الذي كونتموه.. واذا كان عدو الثورة هو الذي يقود الطلاب تبقوا انتم شعب قطيع من الغنم. افهم انت اين موجود الان ولماذا تعارض انتم تطبقون في اشياء قديمة ورجعية تماما انا قرأت

(1) خطاب القذافي لهيئة تدريس وطلاب جامعة بنغازي في ١٩٧٦/٤/٧ (2) نفس الخطاب

كتاباتكم تدعو للاسف يعني تدل على الامية وتدل على السذاجة وتدل على السطحية وتدل على قلة العلم وعلى قلة الوعي تدل ان الواحد لايعرف مصلحته»[1].

القذافي لايطيق ابدا الرأي المغاير لرأيه، فكل رأي عكس رأيه فهو سطحي، وكل رأي حتى من ذوي الاختصاص عكس رأي القذافي فهو رأي ينقصه الوعي وهو تافه..

أما الدرجة الثانية في الهوس القذافي، فهي اصابته بما يسمى بعد ذلك (بالهوس الحاد) الذي يأتيه على شكل نوبات طارئة عنيفة من الهذيان ويصعب عليه أثناء هذه النوبات أداء أي عمل بشكل منتظم ولو انه لايعوزه الذكاء.

ولذلك نجد القذافي يعبر عن سروره وسعادته في هياج عنيف. وفي بعض الاحيان يتعرض القذافي لنوبات من الشرود لدرجة لاتسمح له بأن يميز المكان الذي يكون فيه او الزمان او حتى الاشخاص.

فالقذافي يقول في احدى هذه الحالات:

«أنا قرأت المنشورات التي يكتبها بعض الهلافيت هنا في الجامعة وقد جاء الوقت لقطع ايديهم ثم قطع رقابهم.

أنا في استطاعتي الان ان اعدم عدد من الناس باعتبارهم اعداء الثورة لأني عارف نفسي على حق تحبوا تحطموا مصالحكم... خليكم استمروا في غيكم هذا، الذي يعارض لازم الشعب يدوسه بأقدامه[2].

ان درجة الهوس في هذا الخطاب كانت حادة وفقد فيها القذافي توازنه وأصبح يهذي بطريقة عنيفة ويهدد بالقتل ويهدد مصالح الطلبة ومصالح ذويهم.. ويهدد كل من كتب منشورا بالقتل وبالفعل اطلق الرصاص على مجموعات كبيرة من الطلاب ادى الى قتل وجرح الكثير منهم.

وابتدأ بتنفيذ تهديده لاهالي الطلبة بهدم بيوتهم وحرق ديارهم وسياراتهم ومحلاتهم.

والدرجة الثالثة في الهوس القذافي تعرف باسم (الهوس فوق الحاد) وهي أقصى حالات الهوس حيث يكون القذافي عنيفا في تصرفاته وفي هذه الحالة يكون خطرا على نفسه وعلى المحيطين به.

يقول القذافي وهو يمر باحدى هذه الحالات:

(١) نفس الخطاب (٢) نفس الخطاب

«ان القربان المقدس هو القتل»[1].

ويقصد هنا قتل منتقديه ومعارضيه وغير الراضين عن سياسته الهوجاء وتصرفاته الحمقى، وهذه هي الحرية في مفهوم الطاغية.

كما يقول:

«من يريد ان يتحدى الثورة اذا كان في الداخل هذا امر مفروغ منه سنداهم هذا الموقع وندمره حتى ولو كان مسجدا، واذا كان في الخارج علينا ان ننتقل اليه في الخارج ونهاجمه وننفذ فيه الاعدام لانه يستحق الاعدام.. من يريد ان يكتب في الخارج منشورا ضد الثورة او يهاجم الثورة سرا او علنيا فانه من مهمة اللجان الثورية من الان فصاعدا الذهاب اليه ومهاجمته في المكان الموجود فيه»[2].

وبناء عليه ارسل القذافي فرق الاغتيالات التي اغتالت كثيرا من المواطنين الشرفاء في اوروبا، وداهم المساجد وقتل بعض الشيوخ، وعذب كثيرا من افراد الشعب.

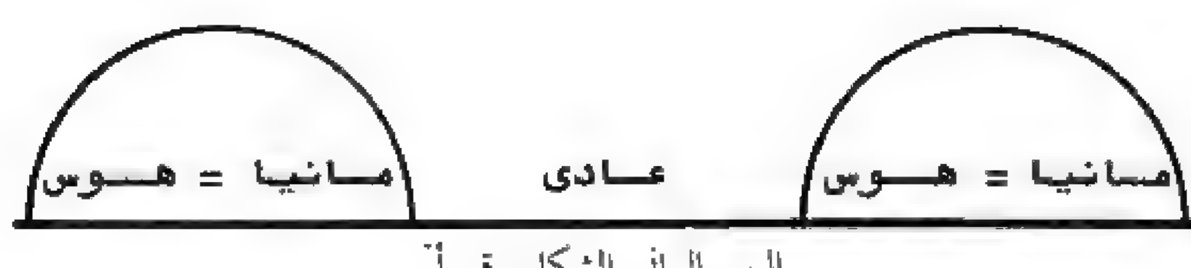
وتجدر الاشارة انه بعد حركة الاغتيالات التي دبرها القذافي في الخارج والداخل وبعد الولوغ في الدم وفي الحرب التشادية الليبية فانه يصاب بفترة هدوء نسبي واكتئاب حيث توقف الاغتيالات السياسية في الخارج مؤقتا. هذه الاغتيالات هي افراغ المريض نفسيا لشحنة العنف المدمرة التي تتراكم في داخله وتلح في الانطلاق، فاذا انطلقت شعر المريض باكتئاب كما هو موضح في شكل (ب). وكما ذكرنا بعد ان تنطلق هذه الشحنة من عقالها يميل المريض الى الهدوء وفترة من الزمن يمر خلالها بدورة جديدة من نفس النوع وتكون على الاغلب اشد من سابقتها. وفي هذه الدورة تتجمع التراكمات داخل نفسية المريض ولهذه التراكمات سببان اساسيان أولها شعور المريض بالاحباط والاكتئاب المتلاحق والخيبة وثانيها الحقد الشامل على الاشخاص وحتى على الاشياء وخاصة الجميلة المبهجة. كل هذا يسرع عملية التراكم النفسية حتى تصل الى مرحلة الانفجار التالي. وهكذا يظل المريض يمر في دورات متتالية من التراكمات والتفريغ من خلال انفجارات عنيفة. هذه الحالة المرضية في مراحلها المتقدمة عند القذافي من الصعب شفاؤه منها وذلك لان القذافي يرفض ولا يسمح باخضاعه لعلاج طبي ونفسي وسيكولوجي طويل[3].

ويسمى هذا المرض العقلي (الهوس) احيانا بالجنون الدوري لان المريض الواحد ينتقل من

(١) القذافي في خطابه في طرابلس ٧٨/٩/١ الفجر الجديد ١٩٧٨/٩/٢

(٢) القذافي بنغازي ٧٩/٣/٨. صحيفة الاسبوع السياسي الليبية ص ٤ في ٩/٣—٧٩

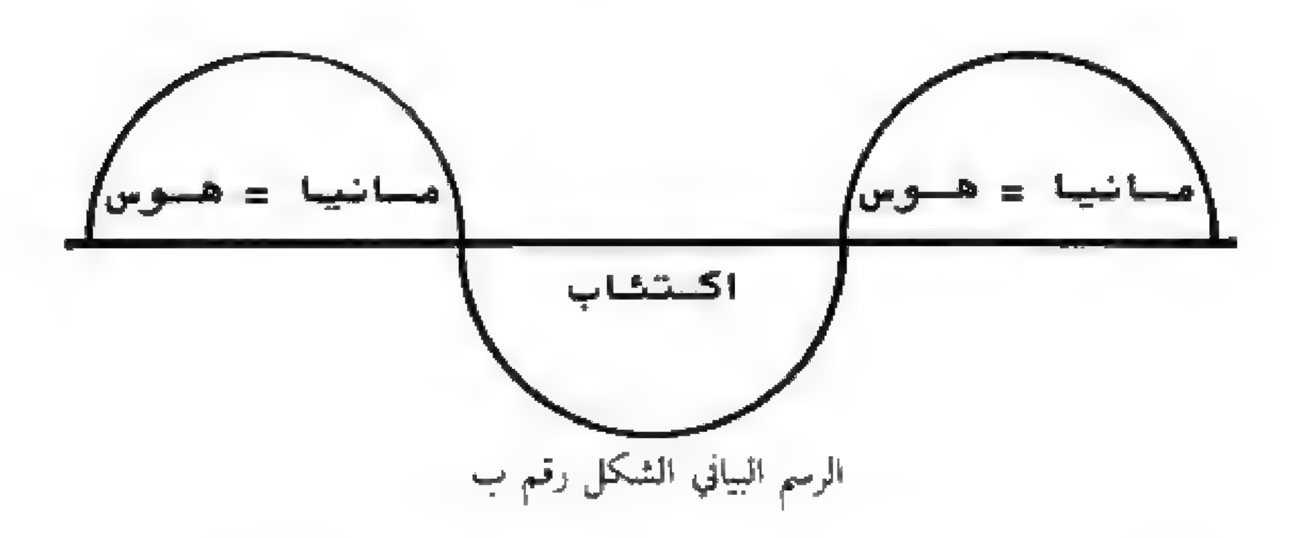
(٣) ظاهرة الاغتيالات الحالية - تحليل نفسي ورأي سياسي، مفتاح، الجهاد ١٧ سبتمبر ١٩٨٠



الرسم البياني الشكل رقم أ

حالة الهوس والتهيج الى حالة أخرى يكاد يكون فيها عاديا (انظر الرسم التوضيحي ـ أ ـ) او قد ينتقل المريض من حالة الهوس والتهيج الى حالة الهبوط والاكتئاب (انظر الرسم التوضيحي ـ ب ـ)[1].

في النوع الاول من حالات (المانيا) نجد القذافي عنده هوس: يزعق ويشتم وينفعل.



الرسم البياني الشكل رقم ب

ونشاطه يكون تشتت وانفعاله ينتقل من موضوع لاخر وفجأة يهدأ ثم يعود لحالته الأولى.

أما النوع الثاني فيتضح في سلوك القذافي حينما ينفعل انفعالا زائدا ويتسم سلوكه بالهياج وتحطيم الاشياء ومحاولة الاعتداء على الغير والسب واستعمال الالفاظ النابية والرغبة في التخريب والضحك بصوت عال ثم يلي ذلك فترة من الاكتئاب والهدوء الزائد بشكل مرضي.

ولقد جنى الهوس القذافي على حقوق الانسان والحريات الاساسية ذلك ان هذا «الهوس القذافي» قد اسهم في انتاج نوع جديد من انواع الديكتاتورية اصبح يعرف (بدكتاتورية العقيد)، التي انتشرت فيها موجات العنف والقمع والمحاكم الاستثنائية والاعدام، وتصفية واعتقالات المعارضين والتخلص منهم، واحراق جميع الكتب التي لاتتطابق وأفكار القذافي،

(١) مصطفى فهمي: السابق، ص ٤٦

قال القذافي في خطاب زواره الشهير:

(ايها الشعب.. حطم كل المكتبات ودور الكتب التي تنبعث منها قذارة الفكر المستورد، الفكر الرجعي الفكر الرأسمالي، الفكر الشيوعي اليهودي).

كما لم تشهد الدكتاتورية المعروفة، ماصنعته دكتاتورية العقيد كالزحف على الادارات والاعتداء على الموظفين وطردهم وتعيين آخرين من قبل الزاحفين الذين سمح القذافي لهم بذلك وحرضهم عليه. وهكذا عبثت المجموعات الغوغائية التي أطلقها القذافي فسادا في الادارات والمؤسسات والاجهزة الحكومية فصارت تضرب من تشاء وتعزل من تشاء وتسجن من تشاء، او بالاحرى من يشاء القذافي من الجهلة غير المتعلمين. فطردوا أساتذة من الجامعة بل سحبت شهادات الدكتوراة من بعضهم واعتبروا «أميين» وعين ممرض رئيسا لمستشفى وفراش مديرا لمدرسة وهكذا على هذا النمط الشاذ سارت الامور اثر خطاب القذافي في زواره.

فالهوس القذافي اذن قد ادى الى ضرب الناس بعضهم ببعض واضرام الشقاق بينهم، وقد أوغل القذافي في عدائه السافر للحريات السياسية بل والحريات الاساسية وهو عداء يشير الى شخصية تتصرف بوحي الشذوذ النفسي والمرض العقلي في آن معا.

ان «جنون المراهقة» مرض عقلي معناه انضغاط بطئ مستمر للشخصية عامة يبدأ عادة في فترة البلوغ، ويعتقد البعض ان الوراثة تلعب دورا هاما في حدوث الاصابة، ويذهب «موت» الى ان هذا المرض يرجع الى اضطرابات في عمل مجموعة الغدد الصماء. ويرى «كريبلن» ان هذا المرض راجع الى تسمم داخلي بسبب تغيرات كيماوية في الجسم. أما «ماير» فيبني نظريته على ان هذا المرض يأتي نتيجة لفشل الفرد في محاولته التكيف ببيئته»(١)

ونرجح أن القذافي قد توفرت له هذه الاسباب جميعا، ولكننا نرجح كذلك ان جنون المراهقة في سلوك القذافي، نتيجة لمجموعة متكررة من ردود الافعال الفاشلة في أكثر من ناحية.

ولهذا المرض اعراض يمتاز بها(٢)، ومنها عند القذافي:

١ــ يرتبط بهذا المرض عند القذافي منذ نشأته نوع معين من الاحلام، يلازمه حتى الان، فهو يعيش في دنيا لايستطيع اقرباؤه او المقربين منه أن يصلوا اليها بسهولة. فهو على الدوام يفضل ان يتجنب الناس ويميل الى العزلة والانصياء.

فالقذافي يحلم بأن يكون زعيما ولو مثل هتلر وهذا الشعور يسيطر عليه منذ أن كان بالكلية العسكرية، حيث انه طاف مدخل «بهو» الفناء الخالي وهو يسير بخطوات عسكرية ويعطي التحية الهتلرية للاشئ. ويقول القذافي في حوار مع روزاليوسف بتاريخ١٩٧٣/٧/٢ «هناك امثلة كثيرة، فرد يستبد بشعبه ومن الممكن ان يرقى الشعب بهذا، هتلر قدم فكرة رغم وجود الحزب وسيطرة الفكرة على المجتمع».

(٣) ومن المهم هنا أن نشير الى مقال كتبه دافيد هيرست نشرته صحيفة الغارديان البريطانية قال هيرست «كلما اخذ القذافي نفسه على محمل اكثر جدية، كلما أصبحت مطامحه تتسم بالمبالغة. ويعزي ذلك الى اللجوء الى عالم وهمي من ابداعه ينأى به عن العالم الحقيقي الذي يرفضه بكل جوانبه».

القذافي يؤكد هذا التحليل، باحلامه في تكوين امبراطورية افريقية، وأحلامه بأن يوحد

(١) د. مصطفى فهمي: المرجع السابق، ص ٣١
(٢) د. مصطفى فهمي: المرجع السابق، ص ٣٣
(٣) الغارديان البريطانية ١٩٧٧/٣/١٩

العالم العربي بالغزو.. احلامه بأن يكون بمثابة المثل للثورة يجب ان يحتذى من قبل كل ثوار العالم.

ومما يؤكد ما.... ونعته بجنون المراهقة السياسية عند القذافي، ماكتبته مجلة «باري ماتش» بعنوان «هكذا ينظر العالم للقذافي» بقلم (جان لارتاغي) ان ترسانة الاسلحة الحربية الهائلة التي اشتراها القذافي قد أكل نصفها الصدأ في رمال الصحراء الليبية وقال الصحافي الفرنسي بعدما ابرز ردود فعل العقيد الليبي ازاء منظمة التحرير لفلسطينية قائلا بالخصوص:

«ليس لديه سوى عشرون طيارا مدربين وأقل من مائة سائق دبابة اما عن الصواريخ المتطورة للغاية التي سلمها له الاتحاد السوفياتي فان المستشارين السوفياتيين هم وحدهم الذين يعرفون تسييرها وان جيشه الصغير المتألف من ٢٥ ألف رجل ليس في مقدوره ان يستخدم من تلك الاسلحة الا النزر القليل.

وكان يعتقد في وقت ما ان هذا العتاد الهائل المصان بدقة لا ينتظر لاستخدامه سوى قدوم اعوان من بلدان الكتلة الشرقية في الوقت المناسب بمجرد انضمام القذافي الى حلف (وارسو) وعندئذ يصير بامكانه الاندفاع بهذه الاسلحة الهائلة لغزو المغرب العربي ويبدو ان ذلك لم يكن الا مضاربات اركان جيش يعمل في غرفة ويؤيد القذافي اكثر مما يستحق. لقد تصرف كالابله اذ ان هذا العتاد الذي اشتراه بثمن باهظ ودفع ثمنه نقداً بدأ في معظمه يتآكل من الصدأ وسط الرمال فمن بين مائة دبابة سلمت منذ سنتين توجد عشر دبابات فقط في حالة حسنة وقابلة للاستعمال وهناك الاف من العربات لم تسر منذ ان وقع انزالها من السفينة وفي تلك الاثناء لايتدخل المستشارون السوفياتيون البالغ عددهم الالفين تاركين الحبل على الغارب اذ أن الاتحاد السوفياتي بهذا العمل يتصرف كما يفعل كل مورد للاسلحة يطلب ثمنا باهظا حسب الامكان لبيع عتاده ولا يقوم بالصيانة بالمرة او يصونه بصورة سيئة للغاية وذلك سعيا منه ليبيع اكثر عدد من الاسلحة لهذا المعتوه المتاله الذي يدفع الثمن بالدولارات المفيدة للسوفييت والتي تمكنهم من شراء القمح الامريكي.

ويخشى ان يصير القذافي خطيرا جدا حتى ليتسنى له تحقيق رغبته المتمثلة في ارضاء ماستبد به من افكار مريضة وهي الحصول على القنبلة الذرية بأي ثمن كان.

ومضت المجلة تقول ورد القذافي بحزن وكأنه طفل خدعه أعز اصدقائه وقال بعد ما أثار الخلاف مع حركة فتح اني افهم لماذا ان بعض اللبنانيين الذين تعرضوا لاستفزازات لا تغتفر، قد اختاروا التحالف مع العدو الاسرائيلي ولماذا ضرب الجيش السوري الفلسطينيين عند دخوله الى لبنان ولماذا قاتلتهم الحكومة العراقية وطردهم الملك حسين من الاردن. ثم طرد القذافي

ممثل فتح من طرابلس وقطع الاعانة عن عرفات وقرر تخصيص كل مساعداته الى حركتي حبش وحواتمة.

انه معتوه ذلك ما كان يصرح عرفات به في كل مكان لانه اختطف موسى الصدر تسبب لنا في عداء المليون شيعي بلبنان بالاضافة الى المسيحيين وحتى الخميني في ايران محترز منا لانه يعتقد اننا شركاء في هذه الحماقة.

واستطاع القذافي بفضل ملياراته من الدولارات من امتلاك ترسانة تتكون من ١٧٨ طائرة مقاتلة من طراز ميراج وميغ منها طائرات ميغ ٢٣ وميغ ٢٥ التي حصل عليها مؤخرا والفي دبابة ثقيلة تي ٥٤ وتي ٦٢ والاف المصفحات ومدافع وصواريخ تعد بالالاف منها ١٥٠ مدفعا مجرورا من عيار ١٥٥ معدة للدفاع عن الحدود مع مصر وسيحصل في ظرف سنة على ٤٠٠ طائرة مقاتلة والف مصفحة سوفياتية وخصص لشراءاته من الاسلحة بالنسبة لسنة ١٩٧٨ وحدها ١٢ مليار دولار اي ما يعادل كل مداخيل بلاده تقريبا.

لقد اقترح القذافي مرة على الرئيس الراحل جمال عبدالناصر ان يشتري له قنبلة نووية غير ان عبدالناصر توصل الى تهدئته لكن القذافي تعنتاً منه بعث بعضده جلود ليقترح على الصينيين مساعدتهم ماليا اذا ما مدوا ليبيا بمجرد قنبلة نووية صغيرة ليس الا لكن شوان لاي صرف ضيفه بلباقة قائلا ان كل بلد حسب افكار ماوتسي تونغ ان يسير أموره بنفسه وأن يعول على وسائله الخاصة. وعند ذلك توجه الى الارجنتين ثم الى كندا فباكستان انه يريد امتلاك القنبلة النووية بأي ثمن كان.

وسيضم القذافي الذي استبدت به فكرة امتلاك منجم لليورانيوم الى بلاده جزءا من الاراضي التي قد توجد بها حقول من هذا المعدن وتقع في منطقة تبستي التشادية.

واعتقد القذافي انه اقترب من تحقيق غايته ذلك ان القنبلة الباكستانية قد اصبحت جاهزة تقريبا وكان يعتزم في شهر سبتمبر بمناسبة الذكرى العاشرة لاستيلائه على الحكم ان يفجر قنبلته غير ان ذلك لم يحصل والقنبلة الباكستانية لم تكن جاهزة ويحتمل أن يكون اللواء ضياء الحق بحصوله على ما كان يأمله من اموال ويورانيوم سيفعل مثل التشاديين والفلسطينيين والمعارضين التونسيين وينسى وعوده.

ويحلم القذافي القابع في خيمته مرتديا جلابية بيضاء وعيناه محدقتان في السماء (بالخلافة) على ان العارفين بالامور يرون ان القذافي ليس الا رجلا أبله».

ويتبين من سلوك القذافي في المدرسة او الكلية العسكرية ان تفكيره قد تعرض الى نوع من الشذوذ أثر على حالته العقلية بدرجة من الصعب بل من العسير تكوين علاقات معه، فهو قد

تعذر عليه كلية الاشتراك مع زملائه في اي محادثة او حديث عادي لا لسبب الا لان حالته العقلية قد وصلت الى درجة من التفاهة والغرابة . ومثل هذا المريض كما يقول علماء النفس(١) «يعيش في عالم خاص به يختلف كل الاختلاف عن العالم الذي نعيش فيه ، عالم خيالي بعيد كل البعد عن الحياة الواقعية ، فهو ميال للدوام الى قضاء معظم وقته وحيدا شارد الذهن كأنه في حلم دائم . ان مريضا هذا شأنه يصعب عليه أن يفرق بين الحقيقة والخيال كما انه يعيش على الدوام في عالم من الاوهام والخيالات(٢) .

وفي مرات كثيرة يختفي القذافي ولا يعلم عنه احد شيئا وبعد مضي وقت طويل يرجع وكأن في هذه الحالات المرضية التي تنتابه يأخذ بخيمته وسيارة وبعض المؤن ويذهب الى الصحراء بعيدا نافرا من الناس ، يعيش بعض الوقت ليعيش في عالم خاص به يحلم ، ويحيى في هذا الخيال الجامح ثم يعود .

يرى في نفسه ويردد في كثير من اقواله انه مثل الانبياء قال «ان المسيح ومحمد وموسى وجميع الانبياء قد حوربوا وهذا ما يحدث بالنسبة للحضارات الجديدة التي نمثلها(٣) .

٢ — ومن خصائص الاضطراب العقلي في حياة المرضى بجنون المراهقة : الظاهرة المعروفة باسم (افكار الاشارة او هزاء الاشارة) وهي تتلخص في أن المريض يعتقد اعتقادا جازما في ان كل شئ يحدث ويقال انما هو المقصود به ، فمثلا اذا رأى دخانا من بعيد اعتقد ان ذلك علامة على هجوم اعدائه عليه ، واذا قرأ مقالا في احدى الجرائد ان في هذا المقال تلميحا معتد به التشهير بسمعته او سمعة عائلته هذا ويعتقد ان الرسوم الكاريكاتورية وكلمات الممثلين الهزليين بالمسارح انما هو المقصود بها ، وهو لذلك سرعان ما يغادر المسرح بسبب هذه النكات ، ولا شك ان هذا النوع من التفكير الهزائي يتصل بذات المريض .

وهذه المميزات للاضطراب العقلي ، تتضح في سلوك القذافي حيث نجد انه : سجن كثيراً من الصحفيين والمثقفين لانه رأى انهم يقفون ضده وان كل ما يكتبونه هو المقصود به ، وتوهم كذلك ان مصر تعد حملة لغزوه أثناء حكم السادات ، فملأ الدنيا زعيقا ونهيقا وحشد القوات وعبأ الناس ليستعدوا للحرب .

وحدثت ذات مرة وفي اثناء اذاعة حلقات فكاهية مشهورة في التليفزيون اسمها «المكتب المفتوح» ان الممثل فرج العربي أثناء تبادل النكات مع شخصية «حسن» فقال له جاء كم عنتر

(١) د . مصطفى فهمي : المصدر السابق ص ٣٥ (٢) السياسة الكويتية ١٩٧٨/٤/١٣

(٣) د . مصطفى فهمي : المرجع السابق ، ص ٣٦

وو.. فاستدعى هؤلاء الاشخاص وضربوا ضربا مبرحا في أحد المعسكرات وقيل لهم ان ماتقصدوه بالنكات هو القذافي...

وهناك خاصية أخرى تدل دلالة واضحة على اضطراب التفكير لدى المرضى بجنون المراهقة، والذين ينتمي اليهم القذافي، بطبيعة الحال، وتعرف هذه الخاصية بالاصطلاح (تعطل او توقف التفكير[1])، ويقوم هذا التوقف كليا لما يدور في رأس المصاب من أفكار لدرجة انه ينسى ماكان في ذهنه من أفكار. ولذلك نجد القذافي في أحيان كثيرة حينما يتحدث عن موضوع ما، ينقل الحديث الى موضوع آخر لايمت بأي صلة للموضوع.

يروي أحد أعضاء الانقلاب القصة التالية. وتدل هذه القصة على تعطل اوتوقف التفكير عند القذافي. يقول عضو مجلس قيادة (الثورة)[2] السابق:

«جئت الى القيادة «مقر مجلس الثورة» فوجدت الكتبة والطباعين من ضباط صف. تعمل في حالة ذهول وارتباك بعضهم ينقل ورق النسخ وبعضهم الاخر ينقل آلة النسخ وبعضهم يجمع الورق المبعثر في الممرات والامرو في حالة ارتباك كامل. كان الوقت التاسعة صباحا ١٩٧٣م. ودخلت المكتب وهي حجرة مخصصة للاجتماع ومقابلات الزوار ودخلت فرأيت العجب. لم يدهشني من العقيد بسبب تعودنا منه على هذه الافعال الصبيانية. كان القذافي شاقا جيوبه وازرار سترته العسكرية متناثرة والرتبة منزوعة بعنف لدرجة أن آثار التمزق موجودة وشعره منكوش ووجه عابس، وكانت ملابسه الداخلية خارجه من فتحات البنطلون المتهدل وكان يلف حول نفسه كالمجنون.. وتبين أنه استيقظ صباحا وخطر له خاطر ان يكتب استقالته بخط يده وينسخها على آلة النسخ ثم يوزعه في شوارع طرابلس كمنشور من العقيد القذافي بواسطة سيارة جيب..»

٣ــ ويشترك القذافي مع المصابين بجنون المراهقة في المعاناة من الهلوسات السمعية اذ ان المريض يخيل اليه «مثلا ان اصواتا تناديه او تنقده او تسخر منه او تطلب منه أن يقوم بأعمال معينة. وهذا مايلاحظ في بعض الحالات من قيام المريض بتصرفات عنيفة ترجع الى هذه الاصوات الوهمية التي يتخيل المريض انها تحدثه وتطلب منه شيئا او تأمره به»[3].

ومن أمثلة الهلوسات السمعية مايعرف عن القذافي! اعتقاده وتصوره أنه يتلقى أوامر من السماء. في لقاء تيفزيوني في سبها بمناسبة الاعلان عما أسماه بقيام سلطة الشعب ذكر القذافي انه رأى كل هذه الاحداث التي تمر بها البلاد من مظاهرات واحداث ومؤتمرات وهتافات

(١) د. مصطفى فهمي: المرجع السابق، ص ٣٦ (٢) وردت هذه الواقعة في مذكرات احد اعضاء مجلس قيادة الثورة التي يعدها للنشر. (٣) د. مصطفى فهمي: المرجع السابق ص ٣٧

وشعارات من قبل رأى العين قبل وقوعها؟!

وان هذا المجنون تصور انه يتلقى اوامره من السماء وانه يرى نفسه نبي الانبياء ففي خطاب القذافي المنحرف يوم٩٧٩/٣/٨ المنشور بصحيفة الاسبوع السياسي قال: «قوى الثورة هي نبي الجماهير، ان قوى الثورة هي نبي الجماهير، نحن القوى الثورية نعرف ماالذي سيحدث في الغد ونتنبأ به لان القوى الثورية هي نبي الجماهير».

وكلنا يذكر كيف أن القذافي أجاب (بلى) على تساؤل مؤلفة كتاب «القذافي رسول الصحراء» هل رعيت الغنم يارسول الله؟ ثم استطرد مؤكدا.. وهل من نبي لم يرع الغنم؟!.

٤ ـ ان شعور المريض بعدم الحاجة للاتصال بغيره تجعله من الممكن ظهور ما يسمى (بالتفكير التلغرافي او المجازي) كما شرحه «يونج» في تغير حالة خياطة مرضت في سن ٣٩ سنة وكانت تقول هذه العبارة (أنا سقراط)، وهذه الحقيقة مجاز معين تريد ان تنوه الى انها كانت تعتقد انها مثل سقراط قد اظهرت قدرة عظيمة ونجحت ثم اتهمت خطأ ودخلت في السجن (المستشفى) حيث يكون مصيرها الاعدام او الموت. وهذا العرض المرضي اوضح مايكون في شعور القذافي بعدم الحاجة للاتصال بغيره، وادعائه انه نبي الصحراء وانه خليفة عبدالناصر.. الخ.

يدعي القذافي انه نبي.. وكذلك يرى في نفسه كل مرة في شكل قائد معين او فيلسوف معين اذ نراه فترة يقلد القواد العسكريون نراه تارة يرتدي ملابس قائد بحري وأخرى قائد مشاه وثالثة قائد طيران.. ثم انتقل الى تقليد ماوتسي تونج ورأى في نفسه ماو فأخذ يرتدي مثل ملابسه ويتحرك بطريقته.. وفي بعض المرات يرى نفسه كرجال التيو فيرتدي ملابسهم.. وقال في ذات مرة ان افكار الكتاب الاخضر قد وجدها عن جان جاك روسو. وأصبح يسعد عندما تخلع عليه الالقاب القائد، المعلم، الفيلسوف، المنظر، الفاتح،.. فأين المستشفى الذي يقبل هذا المريض.

٥ ـ ويسيطر على الكثير من هؤلاء المرضى شعور باليأس وشعور بأن المجتمع ظالم وأنهم ضحية هذا الظلم. ولقد سيطر هذا الشعور على القذافي منذ طفولته.

ونتيجة للتنشئة البائسة المحرومة الممزقة التي نشأها القذافي كانت صور حقد القذافي على المجتمع الليبي، فابتدأ يشن حربه ضد المثقفين والمتعلمين وعلى الجامعة وأساتذتها وطلابها، تعبيرا عن حقده الدفين ضد التعليم والثقافة والمثقفين سجن وعذب كثيرامن أعضاء هيئة التدريس، ولم يتورع في اطلاق الرصاص على طلاب الجامعة مما أدى الى قتل وجرح الكثيرين وقد ورد على لسان القذافي في خطابه بمدينة زواره (ابريل ١٩٧٣):

«لابد من تطهير البلد من جميع المرضى ، أي واحد تجده يتعلم من الشيوعية او فكر ماركس الالحادي سوف يوضع في السجن . وسأصدر الامر لوزير الداخلية بتطهير اي مجموعة من هؤلاء الناس المرضى . اذا وجدت اي شخص من الاخوان المسلمين او حزب التحرير الاسلامي سنضعه في السجن . اي واحد يدعو للفكر الغربي او الرأسمالية فهو مريض وسنضعه في السجن . وضرب الفئة المثقفة في المجتمع ونتيجة لفشله في دراسته رأى ان هذه الفئة المثقفة ظالمة وانه ضحيتها .

في نفس الخطاب المشار اليه سابقا قال بالحرف الواحد «دوسوا باقدامكم أي مكتب برجوازي حطموه بالاقدام ودوسوا عليه الى الابد» ورأى في فئة الموظفين شريحة ظالمة له فأعطى الاشارة بالزحف على الادارات والاعتداء على الموظفين وطردهم وتعيين آخرين واستغل فرصة الفوضى وتخلص من الكثيرين الذين لايريدهم لانهم حسب قوله لا ينفذون القرارات بالسرعة المطلوبة .

ويتعرض القذافي لما يتعرض له بعض المرضى (بالفصام الكاتاتوني) بتصرفاته غاية في الغرابة ؟

يتذكر أحد زملاء القذافي الحادثة التالية :

«كان بعض أعضاء مجلس (الثورة) في بنغازي على سبيل الزيارة العادية وتخلف الرائد مختار القروي في طرابلس اذ كانت تلك ليلة زفافه ، وخطر للقذافي خاطر أن يستدعي القروي من طرابلس لبنغازي وذلك لحضور اجتماع طارئ خطر للقذافي عقده في تلك الليلة فرفض القروي ولكن القذافي أصر على استدعاء القروي . رفض القروي فطلب القذافي من قيادة الحرس الجمهوري القبض على القروي على اعتبار ان هذا القرار من مجلس قيادة (الثورة) وحدث فعلا ان رجعت العروس الى بيت اهلها في تلك الليلة .. استراح القذافي بعد هذا ؟!

كان القذافي ذات مرة في حالة هياج ، دخل غرفة بالقيادة ، وأقفل على نفسه الباب وطلب طباع عند الساعة الثانية والنصف موعد نشرة الاخبار ليذيع تشكيل وزاري ، والمفاجأة ان القذافي نسي عدة وزارات كوزارة الاشغال ووزارة التخطيط ، وعين أحد المتهمين في قضية فساد مالي وزيرا وعين شخصا آخر يحمل جنسية تونسية وزيرا .. ! !

القذافي بين جنون العظمة
وجنون الاضطهاد

يكون المرضى بجنون العظمة وجنون الاضطهاد فئة قليلة من نزلاء المستشفيات العقلية ، وقدرهم (لاندس) في كتابه (علم نفس الشواذ) بحوالي ٢٪ من مجموع نزلاء المستشفيات العقلية في الولايات المتحدة الامريكية . وهناك قسمان رئيسيان : اضطرابات تصيب الناحية الفكرية ، واضطرابات اخرى تصيب الناحية الشعورية(١) . والمرض الذي نحن بصدده عند القذافي يقع في المجموعة التي تتميز باضطراب واضح في الناحية الفكرية .

ومن التفسيرات للاصابة بهذا المرض مايلي :

١ — يعتبر البعض ان السبب الاساسي لحدوث المرض يرجع الى الكبت ، ويعنون بذلك كبت بعض الافكار والاعمال غير المقبولة . ويسبق هذا صراع عقلي عنيف بين رغبة الفرد في اشباع بعض نزعاته من جهة وخوفه لوفشل في اشباع هذه الرغبات لتصادمها مع المثل العليا من جهة اخرى ، ويترتب على هذا الصراع ان يكبت الفرد بعض العوامل التي يتكون منها الموقف . ويحدث نتيجة لعملية الكبت والصراع ان يشعر المريض بالندم وبتأنيب الضمير ولوم النفس وهنا تعكس هذه المشاعر — بدورها — على الاخرين اذ يشعر المريض انهم هم المسئولون عن كل ذلك ولذلك يتولد لديهم شعور بالاضطهاد(٢) .

وهذا السبب له في حياة القذافي جذور قوية .

فالقذافي منذ اللحظات الاولى التي تربع فيها على كرسي الحكم سخر أجهزة الاعلام واشترى مرتزقة الكتاب ليرضي نزعة الغرور لديه ، في محاولة لتصعيد نجم «العقيد» الذي رأى نفسه «منقذ العصر» فهو مؤلف الكتاب الاخضر !

وادعى ان القرآن الكريم غير كامل ، ولم يعالج مشاكل الناس بشكل عام ولهذا فانه — أي القذافي — رأى البديل هو الكتاب الاخضر الذي تصور انه ينقذ الانسانية من تخبطها !

وانكر السنة النبوية ، باعتبارها احدى قواعد التشريع الاسلامي في العديد من خطبه وندواته ، وأنكر على المسيحيين العرب عروبتهم ودينهم وطلب منهم الرحيل من الوطن العربي مستهترا بكل القيم والمثل التي جاء بها الاسلام حيث أوصى بالمساواة بين أهل الكتاب جميعا . أبدل التاريخ الهجري الاسلامي من هجرة الرسول وجعله يبتدي بوفاة الرسول بدون اي تبرير

(١) د . مصطفى فهمي : المرجع السابق ص ٤١ (٢) د . مصطفى مراد : المرجع السابق ص ٤٢

منطقي او معقول . الخ الخ .. مما يدل على جنون المراهقة السياسية ، التي دفعت به الى ان يتصور نفسه الوريث الشرعي لعبدالناصر.

ويتضح جنون المراهقة السياسية من خطبه وأحاديثه الصحفية المتناقضة ، ويكفي للتدليل على هذيان العظمة ان القذافي ادعى النبوة.. فعندما سألته صحفية ايطالية قائلة له يارسول الصحراء هل رعيتم الغنم فأجاب بأن كل نبي قد رعى الغنم.

٢ — وهناك رأي آخر ينطبق على القذافي كذلك . يقول ان اكثر الناس تعرضا للاصابة بهذا المرض ، تلك الشخصيات الشكاكة المحبة لنفسها ، الحساسة والتي تكون هدفا سهلا لمشاعر الغيرة وكذلك الشخصيات التي تشعر بالنقص وتشعر بالاثم ، وهذه الصفات وتلك المشاعر قد تراكمت جميعا لدى القذافي وأوحت له على مر الزمن بأنه هدف للشعور بالاضطهاد . وهذا الشعور بالاضطهاد كما يقول علماء النفس «يكون حيلة دفاعية يبرر بها المغرور شعوره بالنقص»(١).

ونعود هنا مرة أخرى الى المقابلة التي أجرتها الصحفية أوريانا فالاتشي مع القذافي(٢).

س : ايها السيد العقيد هل تعلم كم انت غير محبوب

القذافي : ان الذين لايحبونني هم الذين لا يحبون الجماهير ولا يحبون الحرية ، ومن كان يحب الجماهير ويعشق الحرية فانه يحبني دائما وأكثر من أي شئ.

س : هل تعتقد ان الكتاب الاخضر يستطيع ان يغير العالم؟

القذافي بلاشك ان الكتاب الاخضر ينير للبشرية طريق التحرر انه رسائل التبشير، انه العهد الجديد في العصر الحاضر وعصر الجماهير.

س : انك لست كثير التواضع ، اليس صحيحا؟

القذافي : كلا انني لست متواضعا ولا قنوعا ، لانني تصديت وحدي لهجمات كل العالم ضدي ، ولان الكتاب الاخضر قد اوجد الحل لكل مشاكل مجتمعنا الحالي.

انتقلت به عقدة الاضطهاد من مجتمعه الى أن العالم كله يضطهده وهذا الاضطهاد هو الذي تسبب في الكوارث التي دبرها القذافي داخليا وخارجيا.

ويتميز هذا المرض بالاضطراب من الناحية الفكرية . ويكون هذا الاضطراب على شكل

(١) د. مصطفى مراد : المرجع السابق ص ٤٢ (٢) الوطن العربي ١٦/١٢/١٩٧٩

(هذاء) ويأخذ هذا الهذاء اشكالا وصورا مختلفة[1]. ومن أمثلتها عند القذافي :

١ — انه يعتقد اعتقادا واحدا غالبا ما يكون خاطئا يوجه اليه كل اهتمامه ويجعله موضوع احاديثه، ويحاول ان يقنع كل من يقابله بما يعتقده هو مستعملاً في ذلك جميع الاساليب، ومثال ذلك ما أسماه بالنظرية العالمية الثالثة. الذي قال عنه القذافي في مقابلته مع اوريانا فالاتشي :

«ان الكتاب الاخضر هو الكتاب المقدس الجديد أكرر. في كتبكم المقدسة مكتوب (في البدء كانت الكلمة) ان الكتاب الاخضر هو الكلمة. كلمة واحدة من كلمات الكتاب الاخضر يمكن ان تدمر العالم او تنقذه ...»

الكتاب الاخضر، الكتاب الاخضر الذي ألفه كفاح الشعوب من أجل الحرية، الفه حنين الانسان للسعادة.. الفته الملايين المكبلة بقيود الاستغلال، والعبودية والحاجة الباحثة عن حل لقيودها انعتاق نهائي منها[2].

وفي نفس المقابلة السابقة قال :

«الجماهيرية» هي قدر العالم. ان سلطة الشعب هي المرحلة النهائية لقد حان يوم الثورة بدون شك بفضل الكتاب الاخضر. في العالم بأجمعه. والجماهير ستستولى على السلطة وسيكون دليلهم الكتاب الاخضر وسيشترك كل فرد في الانتاج وسيكون دليلهم الكتاب الاخضر.

٢ — الشعور بالاضطهاد حيث يتصور القذافي دائما انه مضطهد من اشخاص معينين ويحاول ان يكيد لهم. ومن امثلة ذلك في سلوكه الارهابي وموجات اغتياله لليبيين المعارضين لحكمه في الخارج، ونكتفي من ذلك بما اذاعته وكالة رويتر في ١١ مايو ١٩٨٠م حيث قالت :

«مازالت موجة الاغتيالات التي يتعرض لها الليبيون في الخارج وخصوصا في بريطانيا والمانيا الغربية وايطاليا شغل المراقبين الذين يخشون ان تكون هناك حملة اغتيالات منظمة يجري تنفيذها، وهذا مايسعى اليه البوليس الالماني والايطالي على حد سواء عبر سلسلة من التحقيقات تضع هذا الاحتمال في رأس القائمة.

ففي بون كشف البوليس «الالماني الغربي» النقاب اليوم عن ان المواطن الليبي الذي لقي مصرعه امس في بون على ايدي احد الليبيين ظل يشغل حتى ١٩٧٨ منصب المستشار الاقتصادي

(١) مقابلة اوريانا فالاتشي نشرت في صحف كثيرة ١٩٧٩/١١/٢٣

(٢) خطاب القذافي المنشور في الفجر الجديد ٧٨/٩/٢ — العدد ١٨٧٤

والمالي بسفارة ليبيا في عاصمة المانيا الغربية.

وأوضح المصدر نفسه انه اصبح بعد ذلك تاجرا وانه يمتلك شقة في كولونيا بالقرب من بون.

وفي وقت لاحق كشفت النيابة النقاب اليوم عن هوية الدبلوماسي الليبي السابق الذي لقي مصرعه على أيدي أحد المواطنين الليبيين امس في عاصمة المانيا الغربية ويدعى هذا الدبلوماسي عمران المهدوي ويبلغ الثالثة والاربعين من عمره.

وأوضح المتحدث باسم النيابة ان القاتل يدعى بشير (٢٦ عاما) وكان قد وصل الى بون يوم ٢٥ نيسان الماضي. وزعم انه قتل المهدوي لانه لم يكن يريد ان يسدد له دينا قدره ٢٠ ألف جنيه ليبي، وقال المتحدث في ختام تصريحه ان البوليس الجنائي يتشكك الى حد بعيد في هذه الرواية للوقائع وقد وجهت الى بشير تهمة القتل وتقرر حبسه.

وقد اتهم بشير.. باطلاق النار اربع مرات على السيد المهدوي في نفق تحت الارض للمشاه، وقد امسك به المارة بعد ان حاول الفرار.

وذكر البوليس ومكتب الادعاء في بيان مشترك ان القتيل كان شخصية ذكية ومحبوبة.

وفي روما القى البوليس اليوم القبض على قريب لرجل الاعمال الليبي الذي قتل.

وقال البوليس ان المقبوض عليه ويدعى «محمد فادي الخازمي» قد استجوب لمدة ١٨ ساعة ثم اعتقل بعد ذلك بتهمة الاشتراك في قتل السيد «عبدالله محمد الخازمي».

وأضاف البوليس يقول انه يعتقد ان السيد «فادي» قد رتب اللقاء بين السيد الخازمي والرجلين اللذين اغتالاه. وكان السيد «الخازمي» ثالث ليبي يقتل في روما هذا العام.

ويعتقد البوليس ان قريب السيد الخازمي كان قد وصل الى روما يوم الجمعة فيما يبدو أنه في مهمة لاقناع الخازمي بالعودة الى ليبيا، وقد القى بوليس مقاومة الارهاب القبض عليه بعد اطلاق النار بوقت قصير. وقال انه لم يتمكن من اعطاء تبرير معقول لزيارته وقد اطلق البوليس اليوم سراح اربعة ليبيين كانوا قد اعتقلوا معه..

وكانت السفارة الليبية في روما قد ذكرت خلال الشهر الحالي انها تلقت (قائمة بالخونة) من طرابلس كما ذكر مسؤول ليبي كبير ان من في القائمة سيتم التخلص منهم اذا لم يعودوا الى ليبيا.

وتمثل محاولة القذافي اغتيال الرئيس الامريكي ريجان —متى صمت- . الشذوذ النفسي

في شخصية القذافي ، الذي جهزة فرق اغتيال خاصة مجهزة بمدافع البازوكا وقاذفات القنابل اليدوية وصواريخ سام — ٧ المتنقلة المضادة للطائرات والتي تستطيع ان تسقط طائرة الرئيس الامريكي .

وقد وجه الرئيس الامريكي ريجان نداء الى ١٥٠٠ من الرعايا الامريكيين في ليبيا لمغادرتها في أسرع وقت ممكن . وقال ريجان عقب اجتماعه مع الرئيس الامريكي الاسبق جيرالد فورد ، انه يتفق معه في ان معمر القذافي شخصية تهدد العالم بأسره» . ذلك ان شخصية القذافي في شذوذها النفسي ومرضها العقلي لم تعان من الشعور بالاضطهاد والنقص والمراهقة السياسية فحسب ، ولكنها تعاني ايضا من هذاء العظمة .

٣— هذاء العظمة وفيها يعتقد المريض انه شخص عظيم ، مثله في ذلك مثل احد الزعماء او القادة او انه نبي مرسل من الله[١] .

وهذا ما يفعله القذافي حيث يتشبه بعبدالناصر حينا او حين يزعم أنه نبي الصحراء .

يقول القذافي في المقابلة التي نقلتها صحيفة السياسة الكويتية :

«ان المسيح ومحمد وموسى وجميع الانبياء قد حوربوا وهذا مايحدث بالنسبة للحضارات الجديدة التي نمثلها[٢]» .

صحفية : هل رعيت الغنم يارسول الله؟

القذافي : بلى ، وكل الرسل فعلوا ! !

س : هل تعتقد بأنك نموذج عن زعيم سياسي او عسكري سابق؟

القذافي : كلا .

س : حتى عبدالناصر؟

القذافي : عبدالناصر كان مثاليا ونموذجيا لنصف الامة العربية على الاقل ، ولكن ثورة الفاتح من سبتمبر لها اصداء واسعة على الصعيد العالمي[٣] .

ويقول القذافي في كتيبه الاخضر «وهكذا انتجت التجارب التاريخية تجربة جديدة رائعة كتتويج نهائي لكفاح الانسان من أجل استكمال حريته وتحقيق سعادته باشباع حاجته ودفع

(١) د . مصطفى مراد : المرجع السابق ص ٤٣

(٢) السياسة الكويتية ١٩٧٨/٤/١٣ (٣) الرأي العام ١٩٧٨/١/٩

استغلال غيره له ، ووضع حد نهائي للطغيان وايجاد طريقة لتوزيع ثروة المجتمع توزيعا عادلا حيث تعمل بنفسك لاشباع حاجاتك »[1].

وينتقل القذافي من هذاء جنون المراهقة الى (هذاء البارانويا) حيث يسيطر الهذاء عليه ، وينتظم في نظام تحكم ثابت ، ويجعله يعتقد اعتقادا خاطئا يوجه اليه كل اهتماماته ويدور حوله اغلب نشاطه في الحياة . ومن مظاهر سلوك القذافي التي تتفق مع «الخلق البارانوي» .

الجاهل المريض يعتبر نفسه منظرا ومفكرا للعالم اجمع ، وان اطروحته !! للبشرية جمعاء .

ومن مظاهر العناد فالكل يعرف مسرحية اسم ليبيا وكيف تغير الى «جماهيرية» بعد تصميم القذافي بمفرده على هذه الكلمة .

أ ــ تلمس في سلوكه الانانية والعناد والتصميم على آرائه .

ب ــ لايعترف القذافي بنقصه او اخطائه ويلقي التبعة دائما على غيره ويرجع فشله الى تدخل غيره في شؤونه .

يقول القذافي «ان نظامنا هو آخر تجربة في الديموقراطية وان الثورة ستقاوم كل عبث وفوضى : ان الخروج على الاطار الجديد يعتبر خروجا عن القانون والنظام وعلى المجتمع وعلى الديموقراطية وكذلك تهديدا للحياة ، وان اي معارض (سيقاوم بقوة ويسقط حقه في التقاضي والمطالبة لانه خرج عن الشرعية وأقر قانون الغاب وقانون العنف وان خروج الطلبة الى الشارع في مظاهرات هذه الفئة يجب محاكمتها ..»[2].

(اما الان فان اطروحة تاريخية جديدة تبشر بانقلاب خطير لاسس النظام السياسي والبناء الاجتماعي للعالم برمته صارت دليلنا ودليل كل الجماهير العربية نحو الوحدة ودليل شعوب العالم قاطبة . تلك هي اطروحة الكتاب الاخضر[3].

جـ ــ يعتقد القذافي انه ذو قدرات عقلية فائقة وانه من سلالة ممتازة عن باقي الناس ، كما يتصور ان الناس جميعا يحسدونه ويخافونه ، ولعل ذلك يرجع الى سلالته (اليهودية) ــ كما يقال ــ والتي تتسم بالتعصب العنصري والديني واعتقاد أهلها بأنهم شعب الله المختار . وربما كان القذافي ــ يؤكد ــ من خلال ممارساته انه ورث عن أمه اليهودية هذه السمات التي تدور ــ حول فكرة الامتياز والاستعلاء والانفصال عن البشر ، كما ورث أيضا الشغف باحتقار

(١) معمر القذافي . الكتاب الاخضر الفصل الثالث ، ص ٣

(٢) خطاب القذافي امام ما يسمى بمؤتمر الشعب العام ١٩٧٦/١/١٤

(٣) خطابه المنشور في صحيفة الفجر الجديد ١٩٧٨/٩/٢

الامم الاخرى التي تسميها «جوييم» بل ظهر الى جانبها عدد من الفاظ السباب اشهرها «عاريل» ومعناها «الاقلف» أي الذي لم تجر له عملية الختان، بل بقي بدائيا فطريا، وهو بهذه الحالة، قذر وكافر في آن واحد. وفي مقابل هذه الشتائم التي وصم بها العبريون الامم الاخرى والتي ورثها القذافي منهم، كثرت صفات المدح والتعظيم التي خلعوها على انفسهم، والتي يخلعها القذافي على نفسه كذلك، مثل: شعب الله المختار، الشعب الاولي، الشعب الابدي، وتقابلنا صفات اخرى اخذها القذافي من سلالته الاسرائيلية، مثل «الشعب المقدس» الذي لا يقف امر قداسته عند طاعة الله وعبادته، بل يتعدى ذلك الى اهدار دم الامم الاخرى واستباحة اموالها واعراضها واوطانها.

د ـــ يشترك القذافي مع مرضى البارانويا في تقلبهم في صداقاتهم، فبينما يضعون شخصا معينا موضع الصدارة من حبهم اذا بهم يغيرون نظرتهم نحوه لاتفه الاسباب.

ومن ذلك ان القذافي يحمل الجنسية العربية ويدعي انه من حماة العروبة، وهو اول من يطعن العروبة من الخلف!

وساهم في بذر بذور الانقسام في صفوف المقاومة الفلسطينية!

ثار القذافي على أقرب الناس اليه وتنكر لزملائه الانقلابيين في أول سبتمبر وانقلب عليهم وقتل اقرب الناس اليه من اصدقائه ورفاق السلاح. ولم تتوقف خيانات القذافي لشعبه وأهله، مما يشير بوضوح الى البارانويا القذافية.

السيكاثينيا القذافية

(والسيكاثينيا) القذافية مرض يرتبط بالعقيد ارتباطا وثيقا، ومعناه حرفيا نقص الطاقة النفسية للابقاء على التكامل العادي، وتشمل السيكاثينيا الاعراض المرضية التالية:

١ ـــ المخاوف.

٢ ـــ الوساوس المتسلطة.

٣ ـــ الافعال القسرية.

ولكل عرض من هذه الاعراض أمثلة عديدة في سلوك القذافي، فالمخاوف في سلوكه ثارة مرضية غير منطقية لايعرف لها سببا كما لايستطيع التخلص منها او التحكم فيها، وفي الوقت ذاته يشعر ان سلوكه في بعض المخاوف يثير الخوف والقلق، ويعمل على اثارة ضحك الاخرين.

والمعروف ان هواجس الخوف تسيطر على القذافي وتستحوذ على عقله ومشاعره فمجرد ارسال فرق الاغتيالات لقتل الابرياء في الخارج ماهو الا الخوف والجبن من عناصر مثقفة رأى فيها القذافي تهديدا لحكمه ، وكذلك نسف قبور الشهداء والمطالبة باخراج الجثث ورميها خارج المياه الاقليمية ماهو إلا تفاقم لعقدة الخوف لدى القذافي حتى بات لايطيق جثث أناس موتى كرموا بالزمن ! !

ومن طرائف القذافي انه كان ذات مرة مجتمعا ببعض الطلبة وأثناء سير الحديث سقط من احد الطلبة مجموعة مفاتيح السيارة التي كان يحملها فانزعج وخاف القذافي ونظر نظرة غير طبيعية فيها كثير من الوجل والخوف .

كذلك فان تلفيقه للدعايات بأنه هدف لعملية اغتيال في بعض الاحيان يقول امريكية ومرة أخرى يقول عربية ومرات يقول من عناصر ليبية .

وتجدر الاشارة الى كثرة الاحتياطات الامنية التي يتخذها اثناء تنقلاته ومقابلاته وأثناء أكله وشربه ونومه حتى اصبح من المعروف انه لاينام لاكثر من بضع ساعات في مكان واحد او اكثر من مرة واحدة .

أما الافعال القسرية والوساوس المتسلطة فهما مظهران متشابهان من المرض النفسي عند العقيد ، ومن الامثلة الشائعة لهذا المرض النفسي ان تتسلط على عقل العقيد فكرة معينة بشكل غير عادي ، وتردد هذه الفكرة ، بشكل مبالغ فيه .

مثال على ذلك الوحدة مع اي دولة؟

مصر — تونس — تشاد — مالطا — سوريا — والان الجزائر .

وعلى الرغم من ان العقيد يدرك ان هذه الفكرة غير منطقية وغير معقولة ، الا انه لايستطيع التخلص منها .

كما يقوم العقيد بافعال قسرية مناهضة للمجتمع . منها مصادرة القذافي لكافة الحريات الاساسية ولجميع المواطنين.. ومنها قرارات التأميم ضد الافراد .. والافعال القسرية التي اتخذها القذافي ضد شعبه وضد الامة العربية والعالم الاسلامي والاسرة الدولية بأكملها لاحصر لها فعلى سبيل المثال :

- الغى التاريخ الهجري وأبدله بتاريخ يبتدئ من وفاة الرسول ﷺ !
- صادر ممتلكات وعقارات المواطنين بحجة التأميم بدون تعويض مع ان التأميم هو نوع من

الاغتصاب المغلف بالشعارات الزائفة.

* الغى العملة المتداولة واستولى بموجبها على اموال الناس.

* دعا الى فكرة «الراهبات الثوريات» وهي فكرة قسرية لنشر الرذيلة والعهر.

* اصر على فرض كلمة «الجماهيرية» بدل من الجمهورية على اسم ليبيا.

وهناك مظهر آخر للافعال القسرية القذافية المناهضة للمجتمع: تعرف في علم النفس باسم «الفيتشزم القسري».

اما الوساوس المتسلطة على سلوك العقيد القذافي، فهي وسيلة من وسائل التعبير عن حالات القلق الناجم عن الصراعات النفسية التي تنتابه، فهو لا يطيق اية ضوابط لتصرفاته وينفر من اي شئ او اي نص الا كتابه الاخضر.

في هذا الفصل الختامي نتحدث عن «عقدة العقيد» أو «عقدة العقد» في علم النفس وفي عالم السياسة على السواء، ذلك ان هذه العقدة — عقدة العقيد — يمكن ان تعتبر احدث اكتشاف في عالم العقد النفسية والسياسية لانها عقدة ترتبط بميلاد العقيد القذافي وسيرة حياته، وهي عقدة تفوق فيها اصحاب الشخصية السيكوباتية من حيث الخلل في السلوك والمشاعر والتصرفات، واسلوب التوفيق بينه وبين البيئة.

وصاحب عقدة العقيد لايحسن التصرف مثلهم فحسب، ولا يعيش عالة على غيره فحسب، ولكنه يبز اقرانه من السيكوباتيين الذين يكونون طبقة المجرمين في المجتمع، فالعقيد معمر القذافي يكرس جهده وتفكيره فيما يهدد المجتمع وحياته، وهناك شواهد كثيرة على ان اجزاء عديدة من «العالم بعامة» والاسلامي بخاصة «اسيرة» مخطط اجرامي لتنفيذ مآرب عقدة العقيد، والتي تهدف الى حرمانها من تحقيق الظروف الموضوعية التي تمكنها من توظيف كافة امكانياتها البشرية والمادية توظيفا راشدا شاملا ومتوازنا. وأول اعراض «عقدة» العقيد في «التخريب» المجتمعي هي «قيام حكم فردي استبدادي» يعطل ارادة الامة، ويلغي فيها الحوار، ويجعل «عملية اتخاذ القرارات» — سواء أكانت هذه القرارات سياسية ام اجتماعية ام اقتصادية ام عسكرية — رهن مزاج وارادة فرد واحد يكون هدفه الاساسي — العاجل والاجل — هو البقاء والاستمرار في الحكم بأي ثمن وبأي شكل من الاشكال(١).

والعرض الثاني لمرضى عقدة العقيد، هو ما يفرضه على بلاده من «برنامج انفاق واسع» يغذيه على المستوى الفردي ميل شره الى الاستهلاك والتكاثر اما على «مستوى الدولة» فيبرره ادعاءه بالحماس لتنفيذ «خطط تنمية طموحة» و«برامج تسليح عسكري هائلة» ويغذيه رافد تابع من الانفاق الاداري، ويرتبط هذا لبرنامج باقتصاد استهلاكي غير انتاجي(٢).

أما العرض الثالث — وهو في ذات الوقت احد مآرب عقدة العقيد — فهو «احداث التغييرات الاجتماعية» على مستوى الفرد وعلى مستوى الاسرة وعلى مستوى المجتمع — تصورات وتوجيهات وسلوكا — من خلال العرضين السابقين ثم من بعد خدمة لها(٣).

(١) د. محمد يوسف المقريف: كيف خرب القذافي اقتصاد ليبيا — سلسلة كل الحقيقة للشعب (٤)، باشراف نخبة من المثقفين الليبيين، ط١، ١٤٠١هـ. ١٩٨١م ص ٣

(٢) د. محمد المقريف: المرجع السابق ص ٣

(٣) د. محمد المقريف: المرجع السابق ص ٣

والعقيد القذافي هنا يكسب في زمرة السيكوباتيين قصب السبق ، ذلك ان منهم - مثل لعقيد القذافي — كما يقول علماء النفس «من يتظاهر بحبه للاصلاح ثم تجد أن الدوافع التي تدفعه الى ذلك ليست الا دوافع شاذة غير طبيعية ، من هؤلاء فئة الراغبين في الاصلاح الاجتماعي عن طريق تكوين عصابات لقتل السياسيين جميعا[١]».

ولقد اكتشف العقيد «وسائل تقدمية» يتفوق فيها السيكوباتيين ، فهو يتوسل «بالانقلابات العسكرية» وبأساليب القهر والاذلال والتعسف والفتك والبطش ، وتعطيل القوانين واجراءات الفوضى الادارية والمالية ، و«لجان الصعاليك والغوغائيين» او ما يسميه العقيد : «باللّجان الثورية والشعبية» ، ومحاولات «الاتحاد» و«الوحدة» المرتجلة الفاشلة ، ثم «الحروب الاقليمية المحدودة» و«الحروب الاهلية» ، وهو يوظف لذلك كله ما تتسم به «عقدة العقيد» من : طموح فردي مجنون و«هوى» و«ضعف» و«شذوذ»[٢]

على أن من أهم مظاهر الانحراف السيكوباتي في «عقدة العقيد» ، ما يسميه علماء النفس : بالميل السادي واعتياد الاجرام ، فعقدة العقيد ، هي التي دفعت بالعقيد معمر القذافي الى الاعتداء على الحقوق الاساسية لكافة المواطنين الليبيين ، ومصادرة حرياتهم وفي مقدمتها حرية التفكير والاجتماع والتعبير ، كما ان هذه العقدة المعقدة ، هي التي دفعت بالعقيد معمر القذافي الى الاعتداء على مقدسات الامة المتمثلة في دينها وعقيدتها بمختلف مظاهرها ، وتشويه تاريخها وتراثها الحضاري كما دفعت به الى ممارسة الارهاب في حق المواطنين ، واعتقال وتعذيب كافة المواطنين المشتبه في مخالفتهم للنظام ، وتوعد وتهديد المخالفين بسبي نسائهم وقتل اطفالهم .

وابقاء البلاد بدون دستور طوال ثلاثة عشر عاما ، نتيجة لهذا الميل السادي في عقدة العقيد ، والذي أدى به الحال الى : هدم النظام القضائي من خلال التدخل السافر في استقلالية وسير اجراءاته ومن خلال افقاد «العملية القضائية » لكل ضمانات الحيدة والعدالة والاحكام ومن خلال الغاء مهنة المحاماة . وكذلك افساد مناهج التعليم وبرامجه في كافة مراحلها الابتدائية والاعدادية والثانوية والجامعية وتحطيم الجهاز الاداري للدولة ، وافقاد «العملية الادارية» لكل مقومات الفاعلية والكفاءة ، وذلك من خلال جملة من السياسات والتدابير الناجمة عن عقدة العقيد منها : التغيير المستمر والمتواصل في اشكال التقسيمات الادارية للدولة ، ومنها عمليات «الزحف والتصعيد» المتواصلة ، ومنها اعتماد «الفوضى الشاملة» والمستمرة كأسلوب للحكم والادارة .

(١) د . مصطفى فهمي : المرجع السابق ص ١٣٦

(٢) د . محمد المقريف : المرجع السابق ص ٤

ومن مظاهر «الجرائم» التي تدل على الميل السادي في «عقدة العقيد»، ماصنعه اولا: في ليبيا، ثم في افريقيا، ثم على الصعيد العربي والاسلامي والدولي. وكذلك تدمير الجيش الوطني من خلال عمليات التصفية المستمرة بداخله، ومن خلال استحداث مايسمى «باللجان الثورية» فيه، ومن خلال افقاده لكل اسباب الانضباط والضبط والربط ومن خلال الزج به في معارك ومغامرات عسكرية خاسرة لا ترتبط بأماني الشعب الليبي، ومن خلال تحكم المستشارين الاجانب فيه.

ومن هذه المظاهر ايضا: تفويت الفرصة على الشعب الليبي في بناء اقتصاد وطني انتاجي متكامل وقوي، فضلا عن ذلك اقامة مشروعات تنمية فاشلة كليا في القطاعات الزراعية والصناعية بصفة خاصة.

وكذلك استنزاف الثروة النفطية استنزافا لا يقوم على أسس علمية واستخدام جل عائدات هذه الثروة استخداما غير راشد بالخزانة العامة الى ما يشبه الافلاس.

ومنها أيضا، تدمير الحياة الاجتماعية للشعب من خلال جملة من السياسات والتدابير في مقدمتها أساليب القمع والارهاب، والتخريب وفرض برامج التجهيل، ومن خلال برامج التدريب العسكري المختلفة، والجاء الالاف من الليبيين الى الهجرة عن بلادهم، ومن خلال افساد الذوق العام للشعب وافقاد الحياة العامة لابسط ضمانات الامن والامان.

بل انه ذهب الى اخضاع «الايتام واللقطاء» من نزلاء «البيوت الاجتماعية العامة» الى برنامج قهر جسدي ونفسي بتوجيه واشرافه شخصيا، ثم استخدام هؤلاء الاشخاص من بعد، في ممارسة عمليات التعذيب والتنكيل التي تتم داخل معتقلاته او استعمالهم في «فرق الاغتيال» التي يرسل بها لمطاردة مخالفيه وخصومه.

وقام العقيد بتسميم طفلين من اطفال معارضيه (في السابعة والثامنة من العمر) بمدينة بورتسموث بجنوب بريطانيا في نوفمبر ١٩٨٠م.

كما قام بالاعتداء على حرمة القبور، واخراج أجداث معارضيه منها والالقاء بها في البحر خارج المياه الاقليمية الليبية.

وقد أمر العقيد بقتل اعداد من الجنود الليبيين المشوهين العائدين من اوغندة بعد سقوط عيدي أمين.

كما أمر العقيد بقتل أعداد كبيرة من الليبيين من بينهم:

الاسم	المهنة	المكان	التاريخ
١ – المواطن عامر الطاهر الدغيس	(محامي)	طرابلس	فبراير ١٩٨٠
٢ – المواطن محمد حمى	(محامي)	بنغازي	مارس ١٩٨٠
٣ – المواطن حسين الصغير	(محامي)	طرابلس	ابريل ١٩٨٠
٤ – المواطن د. محمود بانون	(مهندي)	طرابلس	ابريل ١٩٨٠
٥ – المواطن محمد مصطفى رمضان	(اذاعي وصحفي)	لندن	ابريل ١٩٨٠
٦ – المواطن محمود نافع	(محامي)	لندن	ابريل ١٩٨٠
٧ – المواطن سالم الرتيمي	(رجل أعمال)	روما	ابريل ١٩٨٠
٨ – المواطن عبدالجليل العارف	(رجل اعمال)	روما	ابريل ١٩٨٠
٩ المواطن عبدالله محمد الخازمي	(رجل اعمال)	روما	ابريل ١٩٨٠
١٠ – المواطن عبداللطيف المنتصر	(موظف)	بيروت	ابريل ١٩٨٠
١١ – المواطن عمران المهدري	(دبلوماسي)	بون	مايو ١٩٨٠
١٢ – المواطن عبدالرحمن ابوبكر	(عامل)	اثينا	مايو ١٩٨٠
١٣ – المواطن محمد فؤاد ابوحجر	(تاجر)	روما	يونيو ١٩٨٠
١٤ – المواطن عزالدين الحضيري	(رجل اعمال)	ميلانو	يونيه ١٩٨٠
١٥ – المواطن احمد مصطفى ابورقيعه	(طالب)	مانشستر	نوفمبر ١٩٨٠
١٦ – المواطن محمد البشتي	(امام مسجد)	طرابلس	ديسمبر ١٩٨٠
١٧ المواطن لطفي أمقيق	(طالب)	طرابلس	ديسمبر ١٩٨٠
١٨ المواطن فوزي مختار المصراتي	(ملازم اول)	طرابلس	يناير ١٩٨١
١٩ – المواطن سعيد السنوسي	(طالب)	كمبردج	ابريل ١٩٨١
٢٠ – المواطن نبيل ابوزيد المنصوري	(طالب)	امريكا	يوليو ١٩٨١

٢١- المواطن عبدالرحمن بيوض	(محامي)	طرابلس	
٢٢ المواطن مفتاح الكميشي	(مدرس)	غريان	
٢٣- المواطن صالح الكميتي	(صيدلي)	مصراته	١٩٨٢
٢٤- المواطن أحمد مخلوف	(طالب)	بنغازي	١٩٨٢
٢٥- المواطن ناجي بوحويه	(طالب)	بنغازي	١٩٨٢

كما قام بتدبير اغتيال وقتل عدد من الضباط والجنود المعروفين بعدائهم للقذافي ومن هؤلاء:

١- المقدم عبدالحميد الماجري (تحت التعذيب)

٢- النقيب عطية الكاسح (حادث سيارة مدبر)

٣- النقيب امحمد ابوبكر المقريف (عضو مجلس قيادة الثورة السابق)
(حادث سيارة مدبر)

٤- النقيب محمد الحاراتي (حادث سيارة مدبر)

٥- النقيب محمد التومي (تحت التعذيب)

كما أمر العقيد بتدبير قتل عدد من ضيوف البلاد خلال تواجدهم بها، اما طلبا للرزق أو اثناء استضافتهم من قبل السلطات القذافية منهم:

١- محمد الباقلاني (قتل في حادث طريق مدبر بمدينة طرابلس في مايو ١٩٧٧م) قائد قوات البركان التشادية.

٢- الامام موسى الصدر (اختفى اثناء وجوده ضيفا على البلاد بمدينة طرابلس خلال اغسطس-سبتمبر ١٩٧٨) امام شيعة لبنان وزعيم منظمة أمل الشيعية اللبنانية.

٣- عباس بدر الدين (رفيق الامام الصدر واختفى معه من طرابلس)

٤- الشيخ محمد يعقوب (رفيق الامام الصدر واختفى مع زميليه من طرابلس)

٥- أنقار بأي ديستان سفير تشاد السابق في ليبيا طرابلس (١٩٧٧م).

٦- سعيد محمد حامد نجم رئيس اللجنة المركزية للجيش الثاني التشادي، طرابلس (يوليو ١٩٧٨)

٧- ابوبكر ادم صالح — مواطن سوداني- اغسطس ١٩٧٩م.

كما قام العقيد بمحاولة اغتيال او خطف عدد من المواطنين الليبيين كان من بينهم :

١- الرائد عمر عبدالله المحيشي (عضو مجلس قيادة الثورة السابق، محاولة اغتيال وخطف)

٢ الرائد عبدالمنعم الطاهر الهوني (عضو مجلس قيادة الثورة السابق، محاولة خطف).

٣- سليمان دهان (صحفي — روما ١٩٧٨).

٤- الدكتور محمود سليمان المغربي (رئيس وزراء ليبيا الاسبق- لندن).

٥- الدكتور فيصل عبدالعزيز الزقلعي (طالب بالولايات المتحدة الامريكية — اكتوبر ١٩٨٠).

٦- الدكتور محمد يوسف المقريف (سفير سابق — مطار روما— فبراير ١٩٨١).

وامر العقيد بقتل عدد من المواطنين والضباط الليبيين واعدامهم رميا بالرصاص بعد تقديمهم الى محاكمات صورية ومنهم :

١ -المواطن عبدالمجيد محمد المنقوش	نقيب بالقوات المسلحة	٧أبريل ١٩٧٧
٢ -المواطن مصطفى محمد المنقوش	نقيب بالقوات المسلحة	٧أبريل ١٩٧٧
٣ -المواطن عمر عثمان الخضر	نقيب بالقوات المسلحة	٧أبريل ١٩٧٧
٤ -المواطن علي محمد قشوط	نقيب بالقوات المسلحة	٧أبريل ١٩٧٧
٥ -المواطن علي احمد بن سعود	نقيب بالقوات المسلحة	٧أبريل ١٩٧٧
٦ -المواطن محمد صالح البرغثي	ملازم اول بالقوات المسلحة	٧أبريل ١٩٧٧

٧ -المواطن رمضان صالح العريبي ملازم اول بالقوات المسلحة ٧أبـــريـــل ١٩٧٧

٨ -المواطن فرج الامين الموني ملازم اول بالقوات المسلحة ٧أبـــريـــل ١٩٧٧

٩ -المواطن حامد يوسف الغندور ملازم اول بالقوات المسلحة ٧أبـــريـــل ١٩٧٧

١٠-المواطن محمد سليمان عطية ملازم اول بالقوات المسلحة ٧أبـــريـــل ١٩٧٧

١١-المواطن عبدالسلام ناجي البيره ملازم اول بالقوات المسلحة ٧ ابـــريـــل ١٩٧٧

١٢-المواطن محمد فضل بريدان ملازم اول بالقوات المسلحة ٧أبـــريـــل ١٩٧٧

١٣-المواطن أحمد دياب عبدالرحمن ملازم اول بالقوات المسلحة ٧أبـــريـــل ١٩٧٧

١٤-المواطن عيسى محمد كرواط ملازم اول بالقوات المسلحة ٧أبـــريـــل ١٩٧٧

١٥-المواطن محمد عبدالسلام المنصوري نقيب بالقوات المسلحة ٧أبـــريـــل ١٩٧٧

١٦-المواطن عبدالله حسين ابوخطوة نقيب بالقوات المسلحة ٧أبـــريـــل ١٩٧٧

١٧-المواطن علي سليمان الشاوش ملازم اول بالقوات المسلحة ٧أبـــريـــل ١٩٧٧

١٨-المواطن يوسف السنوسي جلانه	ملازم اول بالقوات المسلحة		٧أبريل ١٩٧٧
١٩-المواطن عبدالكريم ابراهيم نجم	ملازم اول بالقوات المسلحة		٧أبريل ١٩٧٧
٢٠- المواطن صالح عبدالله القنوص	ملازم اول بالقوات المسلحة		٧أبريل ١٩٧٧
٢١-المواطن محمد الشريف مرواس	ملازم اول بالقوات المسلحة		٧أبريل ١٩٧٧
٢٢-المواطن احمد عبدالله بوليفه	نقيب بالقوات المسلحة		أغسطس ١٩٧٥
٢٣-المواطن احمد فرج البرغثي	ملازم اول بالقوات المسلحة	تحت التعذيب	أغسطس ١٩٧٥
٤٢-المواطن فرج مفتاح بن علي	ملازم اول بالقوات المسلحة	تحت التعذيب	أغسطس ١٩٧٥
٢٥-المواطن عمر دبوب	مدرس	الاعدام شنقا	٧أبريل ١٩٧٧
٢٦-المواطن محمد بن سعود	مدرس	الاعدام شنقا	٧أبريل ١٩٧٧
٢٧-المواطن المواطن عمر المخزومي	فنان	الاعدام شنقا	٧أبريل ١٩٧٧

واذا كانت هذه الدراسة ، قد توصلت الى الكشف عن عقدة جديدة من العقد النفسية وهي «عقدة العقيد» ، فان هذه العقدة لاعلاج لها في طب العقول او طب الاجسام ولكن علاجها الوحيد هو مواجهة الطغيان ، ومواجهة الطغيان لاتتم الا «بالثورة».

وحينما نتحدث عن العلاج بالثورة لعقدة العقد ، فاننا لانقصد ماتعنيه الثورة من دلالات لغوية فحسب ، ولكننا نعني كذلك ماتؤدي اليه «الثورة» من «تطهير» نفسي لكل عقدة نفسية ، ومن «تغيير» ثوري لرواسب «عقدة العقيد».

ذلك ان هذه العقدة العقيدية ، تتضمن في ثناياها كل العقد المعروفة في طب النفوس ، كما انها تفوق في ضراوتها اخطار الشخصية السيكوباتية كما تقدم ، حيث تظهر معالم مرض «عقدة العقيد» مستورة خلف رداء ظاهري مزيف من «قناع العقل» ، فعقدة العقيد ليست مرضا عقليا فحسب ، ولكنها كذلك «شذوذ» أخلاقي وسلوك مرضي ، واذا كان أساطين علم النفس الجنائي يختلفون في المسؤولية الجنائية التي تقع على الشخصية السيكوباتية ، فان هؤلاء الاساطين في علم النفس الجنائي وعلم نفس الشعوب سيتفقون جميعا في المسؤولية الجنائية التي تقع على مرضى «عقدة العقيد» يتجاوز الافراد الى الاضرار بالشعوب والمسئولية الجنائية عن الاضرار بالشعوب تقتضي بالضرورة اقتلاع جذور «عقدة العقيد» ، وهذا الاقتلاع من الجذور لايتم الا بالثورة .. وبالثورة وحدها.

اذن فصاحب «عقدة العقيد» يختلف عن صاحب الشخصية السيكوباتية في أن الاول مسئول مسئولية كاملة عن أعماله الاجرامية في حق الافراد وفي حق الشعوب. وليس هناك مجال للتخفيف من هذه المسئولية.

وعلى الرغم من الاتفاق بين الشخصيتين السيكوباتية ، والعقيدية ، الا أن مرضى عقدة العقيد لايمكن ان يقضي ببراءتهم بسبب الجنون ، كما ذهبت اللجنة المشكلة من خمسة عشر عضوا من رجال القانون في عام ١٨٤٣ ، بمناسبة القضية المشهورة باسم «قضية ماكنوتون» الذي اتهم بقتل «سكرتير سيرروبرت بيل» وقضي ببراءته بسبب الجنون ، الامر الذي أثار ضجة في مجلس اللوردات في ذلك الحين انتهت بسن «قانون ماكناتون» الذي مضى عليه اكثر من قرن وهو دستور المسئولية الجنائية في الدوائر القضائية الانجليزية والاميركية!

على أن هذا القانون ، قد أصبح في الوقت الحاضر ، بسبب التطورات العلمية الحديثة تشريعا باليا قديما ، بسبب قصوره عن مسايرة الحقائق العلمية ، فقد دلت المشاهدات

والتجارب العلمية ، على أن الكثيرين من مرضى العقول لاتنقصهم القدرة على التمييز بين الخطأ والصواب ومعرفة طبيعة العمل الذي يقدمون عليه بدافع المرض حق المعرفة وانه خطأ يعاقب عليه القانون ، وانما تنقصهم القدرة على التميز بين الحقيقة والخيال كما اكتشف العلم أيضا عن وجود حالات مرضية يفقد صاحبها القدرة على الاختيار دون التمييز كما هي الحال في الظواهر العصبية القهرية ، وهي الحالة المعروفة في الدوائر القضائية الاجنبية باسم «الدافع الجبري» .

وفي الولايات المتحدة الان اكثر من أربع عشرة ولاية أصبحت تعترف محاكمها الجنائية بالعوامل النفسية وأثرها في المسئولية الجنائية ، وبخاصة حالات فقد الاختيار «الدافع الجبري» الناشئة عن الامراض النفسية التسلطية ، والتي من بينها «السرقة المرضية» أو «جنون السرقة» و«نزعة الحريق المرضية» أو «جنون الحريق» و«نزعة كشف العورة المرضية» .

ولكن المحاكم الانسانية الكبرى اليوم ، حينما تعرض عليها قضية من قضايا مرضى «عقدة العقيد» ، فان الامر لابد وان يختلف من حيث المسئولية الجنائية ، فلا مجال للتخفيف من مسئولية مرضى عقدة العقيد ، لان الشعوب ليست مكرهة على ان يحكمها هؤلاء المرضى بعقدة العقيد ، قد يكون مكانهم المصحات العقلية ، لكن مكانهم لاينبغي أن يكون أبدا في منصة الحكم ، وتقرير مصائر الشعوب .

وفي تقديرنا : فان المشرعين في جميع قواني العالم ، على اتفاق بازاء المسئولية الجنائية لمرضى عقدة العقيد ، وان الثورة هي العلاج الناجح ، لهؤلاء المرضى الذين تدفعهم عقدة العقيد الى اسقاط عللهم وآفاتهم العقلية والنفسية على سلوكهم السياسي والاجتماعي في حكم الشعوب ! فالشعوب ليست مسئولة عن عقدة العقيد التي تفقد مرضاها حرية التصرف او الاختيار ، ولكن الشعوب أيضا مسئولة عن العلاج والعلاج لايكون الا بالثورة والثورة وحدها !

ذلك أن عقدة العقيد من «الامراض المعدية» ، بل انها «وباء» ، ان لم تواجهه الشعوب ، فان جراثيمه ستصيب هذه الشعوب بأمراض نفسية تقضي على حاضرها ومستقبلها ، ونكتفي هنا بالاشارة الى «مرض الخوف» الذي ينجم عن طغيان «عقدة العقيد» ، هذا الخوف الذي يؤدي في النهاية الى عدم الاتزان النفسي سواء على الصعيد الفردي او المجتمعي ، أوهما في آن معا !

والعلاج بالثورة يؤدي الى أن يحس الفرد والمجتمع بأنهما أكثر شعورا بالامن والطمأنينة ، هذا الشعور الذي يؤدي في النهاية الى الاتزان النفسي ، وهذا العلاج بالثورة يظهر أهم صفات النجاح في الشعوب : التمييز ، والكد ، والصحة ، واستمداد من نبع لاينضب من الحكمة

مستخلصة في كل ذرة من تجارب تاريخها المجيد ، وتحويل تيار هذه المعرفة الى عمل عظيم .

ولقد اثبتت التجارب التي أجريت على كل من الحاكم والمحكوم الذين ينعمان بالسعادة انهما يتفقان في موضوعات معينة ، كالاتجاه الديني ، وفلسفة الحياة ، ونوع الاصدقاء في عالم السياسة ، كما يتفقان في طريقة معالجة المسائل المالية والاقتصادية .

وليست هذه وحدها هي الامور التي يختلف عليها الحاكم والمحكوم غير السعيدين بل ان اكثر الشعوب التعسة — مثل شعبنا الليبي في ظل حكم العقيد — تذكر اضعاف هذه الموضوعات كمصادر للاختلاف بين الشعب والعقيد وبالتالي كعوامل لها اثرها في فشل حكم العقيد !

ان علاقة انسانية كالحكم بين الحاكم وشعبه ، يجب ان تقوم على أسس نفسية ثابتة متينة ، وليس أقدر على تحقيق ذلك من التشابه والتوافق في كل ما يحبه كل من الحاكم والشعب وما يكرهه ، ولا أقوى من الوجدانات المتبادلة ، وتشابه الاتجاهات الفكرية فيما يختص بالعمل ، والامال ، والحاضر ، والمستقبل ، ولابد هنا ان نؤكد ان هذا التشابه في الميول والاتجاهات لايجب ان يكون سطحيا او دعائيا ، ذلك انه حينئذ لايكون دعامة قوية للحكم الصالح .

واذا كان أسعد انسان في الدنيا هو ذلك الشخص الذي يجعل نفسه حرا من الحقد والتحيز ، والحسد ، والكراهية ، فان « العلاج بالثورة » لعقدة العقيد ، يمحو من طريق صحتنا النفسية كل اسباب للعداء ، ذلك أن عقدة العقيد هي مصدر شقاء الروح وشقاء الانسان في مجتمعنا الحبيب ، انها عقدة تحارب كل أصيل ونبيل في هذا المجتمع ، بهدف تدميره نفسيا واجتماعيا وفكريا ، انها عقدة تحاول اغتيال الشخصية الاصيلة للشعب الليبي الحبيب ، وهي لاتحاول ذلك فحسب ، ولكنها تحاول اغتيال الشخصية العربية الاسلامية ككل في نهاية الامر ! لان عقدة العقيد تجري مع الشيطان في عنان ، فتخن وتنتهك ، وتغش ، وتخدع ، وتظلم ، وتسرف في الظلم ، ولذلك كان أعدى أعداء الانسان الليبي والعربي اليوم بل والانسان في كل مكان هو « العقيد » بعقدته الشهيرة ! وان استطاع الانسان الليبي العربي المسلم ان يحول بين نفسه وبين العقيد استقام له الطريق ، ولن يستقيم لنا الطريق ... الا بالثورة ، فالثورة هي العلاج لعقد العقيد !

ان « عقدة الغقيد » ، قد أصابت « مرضى الحكم » في بلادنا الليبية الحبيبة بتكريس جهدهم وتفكيرهم فيما يهدد المجتمع الليبي والعربي والانساني ، انهم تفوقوا على السيكوباتيين في تاريخ البشرية جميعا ، وأصحاب الميول السادية ومعتادي الاجرام وأصحاب النقص الخلقي ، والمرضى بالكذب .

واذا كانت الشخصية السيكوباتية تقاوم كل وسائل العلاج فان الشخصية العقيدية تقاوم كذلك كل وسائل العلاج ، ومن هنا تصبح «الثورة هي العلاج الحتمي».

ونحن وان كنا نستخدم لفظ «الثورة» والصفة المشتقة منها «ثوري» للدلالة على مجموعة التغيرات المتباينة ، فاننا نحتفظ في اركان عقلنا بمعنى محدد اكثر من ذلك بكثير ، معنى واحد لايتغير.. اننا نفكر في الثورة الانجليزية في سنة ١٦٤٠ ثم في سنة ١٦٨٨ والثورة الامريكية ، والثورة الفرنسية وماتلاها في القرن التاسع عشر ، كما نفكر في ثورات القرن العشرين ، ومن قبلها جميعا نفكر في «الثورة الاسلامية» على الجاهلية القديمة ، حينما اشرق نور الاسلام.

اننا لاندعو الى العنف والارهاب ، ولكننا نريد الثورة علاجا والارهاب والاجرام مظاهر عقدة العقيد ، فان الطبيب قد يشعر بأنه أبعد ما يكون عن اللامبالاة تجاه مريضه ، ولكنه لن يكون طبيبا ناجحا مالم يتجرد اثناء ملازمته لمرض مريضه ومعالجته من عواطفه ، على انه في تحليل الشئون الانسانية تكون محاولة عالم الطبيعة او عالم الكيمياء للاحتفاظ بموقف المتجرد امرا جد عسير ، وهي تبدو عند عدد كبير من الاذكياء امرا لافائدة منه ، بل امرا يتسم بالخيانة ، فهم يشعرون بأن واجبك ان تكون هتلر ، او القذافي او غيرهما من الطغاة ، والا فان شخصك قد ينتهي الى تخفيف جرمهم.

وعلى أي حال فان الفهم العلمي لدور البعوضة في «الحمى الصفراء» ، لم يؤد بنا الى التسامح واللامبالاة مع ذلك النوع المعين من البعوض ، وكذلك بالقياس فان الفهم العلمي لعقدة العقيد ، شأنه شأن البعوضة في الحمى الصفراء ، يجعلنا لا نتسامح مع هذا النوع من «العقد» أو ذلك النوع من البعوض.

وان افضل خطة تصورية في منهجنا العلمي في هذه الدراسة هي الخطة المستعارة من علم الامراض ، ولقد كان من السهل ان تتعرف على الخطوط العريضة التي تبين عقدة العقيد ، وحينما تظهر هذه العقدة ، وتشتد حينا وتخف ويصحبها في اغلب الاحيان هذيان ، فانها حينما تتولى الحكم ، تتفوق على حكم الارهاب.

ولذلك فان افضل خطة في العلاج العلمي ، هي تطهير المجتمع من مرضى «عقدة العقيد» في ليبيا ، وهذا التطهير لايتم الا بالثورة ، التي تعتبرها «العلاج» الامثل مطبقين في دراستنا خطة تصورية مستعارة من الطب في بعض التغييرات المشاهدة في بعض المجتمعات.. وتذهب بنا هذه الخطة الثورية الى مقابلة «عقدة العقيد» بأخطر مرض عضوي عرفه الانسان: «السرطان» وكما ان «السرطان» علاجه «الاستئصال» فان «الثورة» هي «العملية الجراحية» التي نستأصل بها «عقدة العقيد» من حكم ليبيا ، من أجل مستقبل ليبيا الحبيبة ووطننا العربي وعالمنا الاسلامي ومجتمعنا الانساني الكبير!

فهرس المحتويات